غيبة الإمام المهدي عليه السلام

رؤية تحليلية

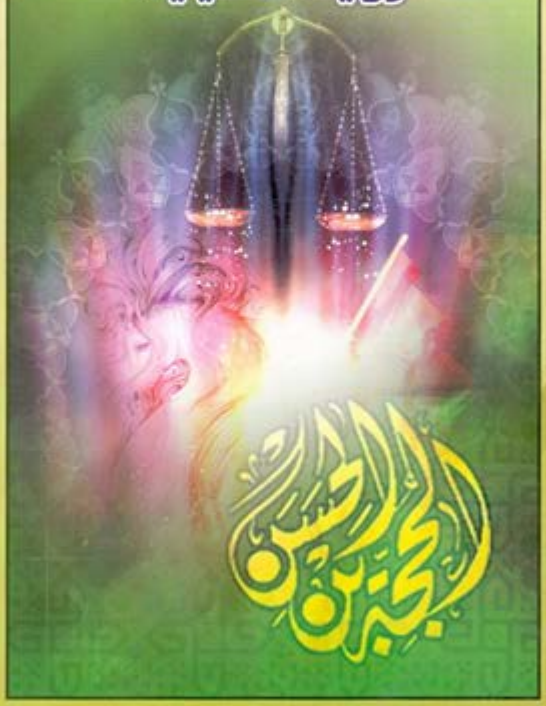

تأليف
الشيخ علي العبادي الشطري

مؤسسة الكوثر للمعارف الإسلامية

غيبة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف

رؤية تحليلية

تأليف

الشيخ علي حمود العبادي الشطري

www.annajat.us
info@annajat.us
مؤسسة الكوثر للمعارف الإسلامية

www.annajat.us
info@annajat.us

هوية الكتاب

اسم الكتاب: غيبة الإمام المهدي عليه السلام
(رؤية تحليلية)

المؤلف: الشيخ علي حمود عناد الشطري

تصحيح وتقويم: مؤسسة الكوثر للمعارف الإسلامية/ امير كاظم حسون

الصف والإخراج الفني: مؤسسة الكوثر للمعارف الإسلامية/ حسين البهادلي

الناشر: مؤسسة الكوثر للمعارف الإسلامية

الطبعة: الأولى / ١٤٢٨هـ

جميع الحقوق محفوظة للمؤسسة

غيبة الإمام المهدي عليه السلام / رؤية تحليلية
علي حمود الشطري العبادي
منشورات الإجتهاد
الطبعة الاولى / ٣٠٠٠
١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م
ISBN :978-964-2941-00-1

الإهداء

إلى هادي البشرية ومهدي الأمّة الإسلامية.

إلى صاحب الطلعة الرشيدة والغرة الحميدة.

إلى أمل الأنبياء والمرسلين وسيدهم خاتم النبيين.

إلى الإمام المنتظر الحجة بن الحسن عليهما السلام.

أهدي له هذه البضاعة المزجاة، راجياً من الله تعالى

أن يتقبلها بأحسن القبول

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة المؤسسة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله الطاهرين.

عند إجراء مسح ميداني لأهم الأبحاث والدراسات العقائدية، نجد أن قضية الإمام المهدي عليه السلام من الأبحاث المهمة في هذا المجال؛ لما لها من دور في إقامة العدل والسلام في أرجاء المعمورة بعد انتشار الظلم والجور والفساد، قال تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾[1]، وقال صلى الله عليه وآله: «تملأ الأرض ظلماً وجوراً، ثم يخرج رجل من عترتي يملك... فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً»[2] وفي رواية أخرى عنه صلى الله عليه وآله: «المهدي من ولدي اسمه اسمي وكنيته كنيتي أشبه الناس بي خلقاً وخُلقاً تكون له هيبة وحيرة تضل بها الأمم، ثم يقبل كالشهاب الثاقب فيملؤها عدلاً كما ملئت جوراً»[3] ومن هنا نجد أن العلماء والمفكرين والباحثين والمحققين ألفوا الكتب والدراسات المختلفة، كدراسة هذا الموضوع المهم والخطير، كما خرّج

---

(١) القصص: ٥.

(٢) المستدرك، الحاكم النيسابوري: ج٤ ص٥٥٧، سنن أبي داود، السجستاني: ج٤ ص٧١٢ ح٤٢٧٦.

(٣) ينابيع المودة، القندوزي الحنفي: ج٣ ص٣٨٦.

علماء الحديث وأصحاب الموسوعات الحديثية الكثير من الأحاديث الخاصة بالإمام المهدي عجل الله فرجه والمروية عن النبي صلى الله عليه وآله، وقد أفردوا لذلك أبواباً خاصة.

وقد أولت مؤسسة الكوثر عناية خاصة في نشر الأبحاث والدراسات العقائدية لاسيما الدراسات والأبحاث الخاصة بالإمام المهدي عجل الله فرجه، ويقع هذا الكتاب من جملة الكتب التي أولتها مؤسسة الكوثر اهتمامها وعنايتها، حيث بادرت مؤسسة الكوثر بتكليف سماحة الحجة الشيخ علي حمود الشطري أن يقوم بتحقيق مفصل مهم من مفاصل قضية الإمام المهدي عجل الله فرجه وهو مفصل الغيبة، لأجل الوقوف على هذا المفهوم ومعرفة هويته من خلال البحث والتحليل الفكري وبأسلوب سهل ممتع وعرض علمي قويم يقود نحو الحقائق الناصعة.

فله الشكر على ما أنعم وله الحمد على كل شيء وهو المستعان.

قسم البحوث والدراسات

مؤسسة الكوثر للمعارف الإسلامية

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء محمد وعلى آله الطاهرين.

إنّ أُطروحة الإمام المهدي عليه السلام من أهم الأُطروحات الإسلامية ذات الأبعاد المتعددة، العقائدية والفكرية والثقافية والتاريخية والاجتماعية.

وقد أضاء القرآن الكريم هذه المسألة بأروع بيان، والمهمة ذاتها ينهض بها النص الروائي، إذ ثمة عدد وافر من روايات الفريقين استوفت المسألة من جميع جوانبها.

وعلى هذا الأساس اعتقد المسلمون منذ فجر الرسالة إلى اليوم، بظهور رجل من أهل بيت الرسالة عليهم السلام اسمه المهدي يملأ الأرض عدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً، ويحقق فيه الرفاه وتخيم فيه السعادة وترتفع فيه المظالم ويعم السلام الحقيقي الكامل في كل أرجاء المعمورة.

ومن المحطات المهمة في أطروحة الإمام المهدي عليه السلام؛ هي مسألة غيبته عجل الله فرجه لأنها لم تكن حالة مألوفة عند المسلمين آنذاك، لذا تعد الغيبة من الحالات الاستثنائية في

حياة الإسلام والمسلمين؛ ذلك لأنَّ فترة الغيبة تختلف عن زمان وجود النبي صلى الله عليه وآله وزمان الأئمة عليهم السلام وكذلك تختلف عن زمان ظهور المهدي عجل الله فرجه، لوجود القائد والموجه بين أشياعه وأتباعه ويتعاطى معهم بشكل مباشر.

وعلى هذا الأساس فقد تطرأ على بعض الأذهان أسئلة وإشكالات حيال مسألة الغيبة.

ومن هنا تنبثق أهمية هذه المحاولة المتواضعة، التي أخذت على

عاتقها الإجابة على ما يطرح من أسئلة، ودرء الإشكالات والشبهات ومعالجتها ببيان واضح، مستضيئة بأنوار أهل بيت العصمة والطهارة، حيث جاءت رواياتهم الشريفة - وما تنطوي عليه من روح برهانية وعناصر استدلالية- مشفوعة بالإجابة الوافية عن تلك التساؤلات والإشكالات.

وقد انطلقت منهجية البحث ضمن محاور متعددة كرّست لمعالجة العناوين التالية:

أولاً: الوقوف على هوية الغيبة وحقيقتها.

ثانياً: بيان الفوائد المتوخاة من الإمام الغائب.

ثالثاً: أسباب وخلفيات الغيبة.

وفي الختام نسأله تعالى القبول والتوفيق، وأن تكون هذه المحاولة موضع رضا عند سيدنا ومولانا صاحب الأمر والزمان أرواحنا لتراب مقدمه الفداء، والله ولي التسديد.

وأخيراً أتقدّم بوافر الشكر وفائق الامتنان إلى كل من ساهم في إنجاز هذا الكتاب، وأخص بالذكر منهم سماحة الأستاذ الشيخ قيصر التميمي، وسماحة الأستاذ الشيخ شاكر الساعدي، داعياً المولى القدير للجميع بالتوفيق والتسديد.

الشيخ علي حمود عناد العبادي

١٥/ شعبان / ١٤٢٧هـ

غيبة الإمام المهدي عليه السلام رؤية تحليلية

تمهيد:

إنّ الشريعة التي جاء بها الدين الإسلامي ما هي - في مجملها، وحقيقتها، وبكل جوانبها- إلاّ خطّة إلهيّة أُعدّت بإحكام، ووضعت من أجل ترشيد المجتمع البشري نحو الأصلح والأقوم، وبلوغ السعادة في الدارين.

وقد وعد الله تعالى البشرية - التي عانت طوال حياتها من الظلم، والجور- أن يسودها العدل والأمان في الأرض.

قال تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾[1].

وقال تعالى أيضاً: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾[2].

إلاّ أنّ تحقق هذا الهدف على أرض الواقع يتوقف على توفّر شرائطه، التي شاء الله عزّ وجلّ بحكمته أن تكون من طرقها الطبيعية، وضمن ما هو المألوف، لا بشكل إعجازي

---

(١) التوبة: ٣٣.

(٢) القصص: ٥.

وخارق لما هو المعتاد.

وحيث إنّ الله تعالى ـ لحكمته ولطفه بعباده ـ قد نصّب أولياء هداة معصومين، يمثلون امتداداً طبيعياً للرسالة المحمّديّة، فهم أُمناء الوحي والرسالة، وحجّة الله على العباد، وهم الأئمة الاثنا عشر عليهم السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، أوّلهم الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وآخرهم الإمام المهدي عليه السلام، وقد ثبت ذلك مسبقاً، بمقتضى عدد وافر من الآيات القرآنية، كآية الولاية، وآية أولي الأمر، وآية التطهير، وآيات البلاغ في الغدير، وآية المودة في القربى[1] وغيرها، مضافاً إلى عدد كبير جداً من الأحاديث النبويّة التي رواها أصحاب الصحاح من أهل السنة، كحديث الثقلين المتواتر الذي مفاده أنّ أهل البيت عليهم السلام لن يفترقوا عن القرآن حتى يردوا على رسول الله صلى الله عليه وآله الحوض[2]، فكما أنّ القرآن باقٍ إلى يوم القيامة كذلك أهل البيت عليهم السلام،

(١) الآيات: المائدة: ٥٥، النساء: ٥٩، الأحزاب: ٣٣، المائدة: ٦٧.

(٢) السنن الكبرى، النسائي: ج٥ ص٤٥ ص١٣٠؛ خصائص أمير المؤمنين: النسائي: ص٩٣؛ المعجم الصغير، الطبراني: ج١ ص١٣١ ص١٣٥.

وكحديث الخلفاء الاثني عشر «كلّهم من قريش»[١]، وحديث السفينة[٢]، وأهل بيتي عليهم السلام أمان لأهل الأرض، فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض[٣] وأتاهم ما يوعدون، وغير ذلك من الأحاديث الدالّة على بقاء الإمامة الإلهية، واستمرارها في الأرض.

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّ خلفائي، وأوصيائي وحجج الله على الخلق بعدي، الاثنا عشر، أوّلهم عليّ، وآخرهم ولدي المهدي»[٤].

وشاءت الإرادة الإلهية أن يكون الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام - الذي يمثل الحلقة الأخيرة من سلسلة الأئمة الهداة- مصلحاً للبشرية، ومحققا للهدف النهائي، والثمرة الكبيرة والمرجوة من رسالات السماء وبعث الأنبياء، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ

(١) مسند أحمد، أحمد بن حنبل: ج٥ ص٨٧ - ٨٨.
(٢) مجمع الزوائد، الهيثمي، ج٩ ص١٦٨، المعجم الأوسط، الطبراني: ج٦ ص٨٥.
(٣) شواهد التنزيل، الحسكاني: ج١ ص٤٢٦، ذخائر العقبى، الطبري: ص١٧.
(٤) ينابيع المودة، القندوزي الحنفي: ج ٣ ص ٢٩٥.

لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[1].

إذن فلابدّ - بحسب التخطيط الإلهي - من إقامة العدل، والسلام في العالم، بعد انتشار الظلم والجور والفساد في ربوع الأرض وأرجائها، وهو ما نشاهده ونراه بالحس والعيان في كل حدب وصوب، وهذا ما يتطابق مع ما تنبّأ به رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله: «تملأ الأرض ظلماً وجوراً، ثم يخرج رجل من عترتي، يملك سبعاً أو تسعاً، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً»[2]، فكما أنّ الأرض مُلئت وستُملأ بالجور والفساد والظلم، لا بدّ لها من يوم تُملأ فيه عدلاً وقسطاً، على يد الإمام المهديّ المنتظر عليه السلام.

إلاّ أنّ النقطة الجديرة بالذكر هي أنّ تحقق هذا الهدف، وهو إقامة العدل والقسط في الأرض، يتوقف على توفر شرائطه التي أراد الله تعالى بحكمته أن تكون من الطريق

---

(١) الحديد: ٢٥.

(٢) سنن أبي داود، السجستاني: ج٤ ص٧١٢ ح٤٢٧٦؛ مسند أحمد، أحمد بن حنبل: ج٣ ص٢٨ ص٣٦ ص٧٠؛ المستدرك الحاكم: ج٤ ص٥٥٧؛ وانظر مجمع الزوائد: الهيثمي: ج٧ ص ٣١٤، وقال فيه: «رواه الترمذي وغيره باختصار، رواه أحمد بأسانيد، وأبو يعلى باختصار، ورجالهما ثقات»؛ وانظر: المصنف: الصنعاني: ج١١ ص٣٧٢- ٣٧٣.

الطبيعي لا الإعجازي، وهذا ما جرت عليه السنن الإلهية في هذا العالم، فقد قال تبارك وتعالى: ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾[١] وقال تعالى أيضاً: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٢] وقال تعالى: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[٣] وقال: ﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ * أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾[٤] وغير ذلك من الآيات المباركة، التي تكشف عن أنّ التخطيط الإلهي لجريان السنن في هذا العالم مبنيّ على السير الطبيعي للبشرية، إلاّ في الظروف الخاصّة والاستثنائية، التي تقتضي فيها الحكمة الإلهية إنجاز الهدف والوصول إليه عن طريق الإعجاز وخرق المعتاد، وذلك كإثبات أصل نبوة الأنبياء مثلاً.

---

(١) الأنفال: ٣٧.

(٢) الأنفال: ٤٢.

(٣) آل عمران: ١٥٤.

(٤) آل عمران: ١٤٠ - ١٤٢.

وإقامة العدل على هذه الأرض جاء ضمن ذلك الإطار، فلكي يتحقق على أرض الواقع ويحين أجله، لابد من اكتمال جميع شرائطه، وعلى ضوء ذلك كانت غيبة إمامنا المهدي عليه السلام جزءاً من هذا التخطيط والحكمة الإلهية، من أجل أن تكتمل باقي الشرائط لظهور الحق وإقامة العدل، تلك الشرائط التي يتحقق معظمها في أحضان الغيبة، وهذا ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وآله في روايات عديدة من كتب الفريقين:

منها: ما أخرجه الأربلي، عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: **لما أنزل الله على نبيّه صلى الله عليه وآله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ منكم﴾[1]، قلت: يا رسول الله عرفنا الله ورسوله، فمن أولي الأمر الذين قرن الله طاعتهم بطاعتك، فقال صلى الله عليه وآله: «هم خلفائي من بعدي يا جابر، وأئمة الهدى بعدي، أوّلهم علي بن أبي طالب، ثم الحسن، ثم الحسين، ثم علي بن الحسين، ثم محمد بن علي المعروف في التوراة بالباقر، وستدركه يا جابر، فإذا لقيته فاقرأه عنّي السلام، ثم**

(١) النساء: ٥٩.

الصادق جعفر بن محمد، ثم موسى بن جعفر، ثم علي بن موسى، ثم محمد بن علي، ثم علي بن محمد، ثم الحسن بن علي، ثم سميّي وكنيّي، وحجّة الله في أرضه، وبقيّته في عباده محمد بن الحسن بن عليّ، ذلك الذي يفتح الله عز وجل على يده مشارق الأرض ومغاربها، وذلك الذي يغيب عن شيعته، وأوليائه، غيبة لا يثبت فيها على القول بإمامته إلاّ من امتحن الله قلبه للإيمان»، فقال جابر: فقلت: يا رسول الله فهل يقع لشيعته الانتفاع به في غيبته؟ فقال صلى الله عليه وآله: «أي والذي بعثني بالحق، إنهم ليستضيئون بنوره، وينتفعون بولايته في غيبته، كانتفاع الناس بالشمس وإن علاها سحاب، يا جابر هذا من مكنون سر الله، ومخزون علم الله، فاكتمه إلاّ عن أهله»[1].

وعن علي بن علي الهلالي، عن أبيه قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله في شكاته التي قبض فيها فإذا فاطمة رضي الله عنها عند رأسه. قال: فبكت حتى ارتفع صوتها، فرفع رسول الله صلى الله عليه وآله طرفه إليها فقال: حبيبتي فاطمة، ما الذي يبكيك فقالت: أخشى الضيعة بعدك، فقال: يا حبيبتي، أما

(١) ينابيع المودّة، القندوزي: ج٣ ص٣٩٩.

علمت أن الله - عزّ وجلّ - اطلع إلى الأرض اطلاعة فاختار منها أباك فبعثه برسالته، ثم اطلع إلى الأرض اطلاعة فاختار منها بعلك، وأوحى إلي أن أنكحك إياه يا فاطمة، ونحن أهل بيت قد أعطانا الله سبع خصال لم تعط لأحد قبلنا ولا تعطى أحداً بعدنا. أنا خاتم النبيين، وأكرم النبيين على الله، وأحب المخلوقين إلى الله عزّ وجلّ وأنا أبوك، ووصيي خير الأوصياء، وأحبهم إلى الله، وهو بعلك، وشهيدنا خير الشهداء، وأحبهم إلى الله، وهو عمك حمزة بن عبد المطلب، وعم بعلك، ومنا من له جناحان أخضران يطير مع الملائكة في الجنة حيث شاء، وهو ابن عم أبيك، وأخو بعلك، ومنا سبطا هذه الأمة، وهما ابناك الحسن والحسين، وهما سيدا شباب أهل الجنة، وأبوهما - والذي بعثني بالحق - خير منهما. يا فاطمة - والذي بعثني بالحق - إن منهما مهدي هذه الأمة إذا صارت الدنيا هرجاً ومرجاً وتظاهرت الفتن، وتقطعت السبل، وأغار بعضهم على بعض، فلا كبير يرحم صغيراً ولا صغير يوقر كبيراً، فيبعث الله عزّوجلّ عند ذلك منهما من يفتح حصون الضلالة،

وقلوباً غلفاً يقوم بالدين آخر الزمان كما قمت به في أول الزمان، ويملأ الدنيا عدلاً كما ملئت جوراً يا فاطمة لا تحزني ولا تبكي، فإن الله عزّوجلّ أرحم بك وأرأف عليك مني، وذلك لمكانك من قلبي، وزوجك الله زوجاً، وهو أشرف أهل بيتك حسباً وأكرمهم منصباً، وأرحمهم بالرعية، وأعدلهم بالسوية، وأبصرهم بالقضية، وقد سألت ربي عزّ وجلّ أن تكوني أول من يلحقني من أهل بيتي، قال علي رضي الله عنه: فلما قبض النبي صلى الله عليه وآله لم تبق فاطمة رضي الله عنها بعده إلا خمسة وسبعين يوماً حتى ألحقها الله عزّ وجلّ به صلى الله عليه وآله. رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه: الهيثم بن حبيب، قال أبو حاتم: منكر الحديث وهو متهم بهذا الحديث[1].

أقول: ولم يجدوا في الهيثم بن حبيب مطعناً سوى روايته لهذا الحديث في فضائل أهل البيت عليهم السلام وله نظائر كثيرة!!.

وعن أبي أيوب الأنصاري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لفاطمة نبينا خير الأنبياء وهو أبوك وشهيدنا خير الشهداء

(١) مجمع الزوائد، الهيثمي: ج٩ ص١٦٥ – ١٦٦.

وهو عم أبيك حمزة، ومنا من له جناحان يطير بهما في الجنة حيث شاء وهو ابن عم أبيك جعفر، ومنا سبطا هذه الأمة الحسن والحسين وهما ابناك ومنا المهدي.

رواه الطبراني في الصغير وفيه قيس بن الربيع وهو ضعيف وقد وثق، وبقية رجاله ثقات[١].

ومنها: ما جاء عن جابر بن عبد الله الأنصاري أيضاً: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «المهدي من ولدي، اسمه اسمي، وكنيته كنيتي، أشبه الناس بي خَلقاً وخُلقاً، تكون له غيبة وحيرة، تضل فيها الأمم، ثم يقبل كالشهاب الثاقب، فيملأها عدلاً كما ملئت جوراً»[٢]، وغير ذلك من الروايات، الدالة على ضرورة الغيبة، من أجل اكتمال شرائط الظهور، وإقامة العدل والقسط، وذلك من خلال تخطي البشرية لمراحل عديدة من التمحيص والفتن والحيرة، والابتلاء.

وهذا ما أقرّ به الألباني أيضاً في سلسلة الأحاديث الصحيحة، حيث قال: «فماذا عسى أن يفعل المهدي لو خرج

---

(١) مجمع الزوائد، الهيثمي: ج٩ ص١٦٦.

(٢) ينابيع المودة، القندوزي الحنفي: ج٣ ص٣٨٦.

اليوم، فوجد المسلمين شيعاً وأحزاباً، وعلمائهم - إلاّ القليل منهم - اتخذهم الناس رؤوساً، لما استطاع أن يقيم دولة الإسلام إلاّ بعد أن يوحّد كلمتهم، ويجمعهم في صف واحد، وتحت راية واحدة، وهذا بلا شك يحتاج إلى زمن مديد، الله أعلم به»[1].

هوية الغيبة:

إنّ غيبة الإمام عليه السلام تعني خفاء عنوانه غالباً، وليس اختفاء شخصه عن الأنظار، وإن كان خفاء المعنون قد يتحقق أيضاً في بعض الأحيان كما أشارت إلى ذلك بعض الروايات على ما سيأتي لاحقاً، ولكي يتضح هذا المعنى يتعين التذكير بأن الإمامة لطف من الله تعالى، ولولا خليفة الله في الأرض لساخت بأهلها.

دوام الإمامة واستمرارها لطف إلهي:

لا شك أن النبوّة وبعثة الأنبياء من أعظم الألطاف الإلهية في حق البشرية، وذلك من أجل إيصالها إلى كمالها اللائق بها، وإلى مصالحها والأهداف التي خُلقت من أجلها، والتي

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني: ج٤ ص٤٢.

لا يمكن لعقول البشر القاصرة أن تدركها أو تقف على كنهها، فالنبوّة جاءت في ضمن سياق هداية الله عزّ وجلّ للبشر وتوجيههم الوجهة التي خلقوا من أجلها.

ومن أعظم تلك الألطاف الإلهية بعثة نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله بالرسالة الخاتمة والدين الإسلامي، ليظهره على الدين كلّه، ولو كره المشركون.

ومما لا ينبغي الشك فيه أيضاً أن الإمامة، وقيادة الأمّة - في الجوانب الفكرية والدينية والسياسية- بعد رسول الله صلى الله عليه وآله استمرار لذلك اللطف الإلهي، وإتمام لتلك النعمة، وذلك من أجل الإبقاء والحفاظ على روح الإسلام ومعالمه، وضمان استمرارها ورشدها ونموها إلى قيام الساعة.

فاستمرار وجود الإمام في كل زمان لطف من الله تعالى من أجل حفظ الدين وصلاحه ورفعته وعزته، وكذلك لأجل الحفاظ على كرامة الأمة الإسلامية، والإبقاء على هويتها وكيانها، فهو أمان للأمّة من الهلاك والضلال والغواية، بل هو أمان لأهل الأرض، فإذا ذهب ذهب أهل

الأرض، ولولاه لساخت الأرض وماجت بأهلها، وقد أكّد رسول الله صلى الله عليه وآله على تلك الحقيقة الخطيرة والمحورية في حياة الأمة عندما قال: «أهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض»[1]، وقد أمرنا بالتمسك بهم في حديث الثقلين، وأنبأ عن عدم افتراقهم عن القرآن الكريم، حتى يردا عليه الحوض، ثم قال صلى الله عليه وآله: «أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي»[2].

لولا الحجة لساخت الأرض بأهلها

إذن فالحجّة باقية ومستمرة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله إلى يوم القيامة، ولولا تلك الحجة التي نصبها من بعده صلى الله عليه وآله - بأمر من الله عزّ وجلّ - لساخت الأرض بأهلها، وقد تواتر هذا المضمون عن رسول الله صلى الله عليه وآله في ألسنة مختلفة من

(١) شواهد التنزيل، الحاكم الحسكاني: ج١ ص٤٢٦؛ ذخائر العقبى، محب الدين الطبري: ص١٧؛ وانظر المستدرك، الحاكم: ج٣ ص٤٥٧ ج٢ ٤٨٨، حيث قال في ذيل الحديث: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

(٢) صحيح مسلم، مسلم: ج٧ ص١٢٣؛ مسند أحمد، أحمد بن حنبل: ج٤ ص٣٦٧؛ سنن الدارمي، الدارمي: ج٢ ص٤٣٢؛ سنن البيهقي، البيهقي: ج٢ ص١٤٨؛ وغيرها من المصادر.

الروايات، منها قوله صلى الله عليه وآله: «النجوم أمان لأهل السماء، فإذا ذهبت النجوم أتى أهل السماء ما يوعدون، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا ذهب أهل بيتي أتى أهل الأرض ما يوعدون»[١].

مضافاً إلى تأكيد أهل البيت عليهم السلام على هذه الحقيقة، كقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: «اللّهم وإنك لا تخلي الأرض من قائم بحجة؛ إما ظاهر مشهور، أو خائف مغمور، لئلا تبطل حجج الله، وبيّناته»[٢].

وكذا ما أخرجه القندوزي الحنفي، عن الحموي المصري في كتابه «فرائد السمطين» عن الإمام جعفر

---

(١) المستدرك، الحاكم النيسابوري: ج٢ ص٤٤٨، قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه؛ شواهد التنزيل، الحسكاني: ج١ ص٤٢٦؛ تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ج٤٠ ص٢٠؛ وانظر الجامع الصغير، السيوطي: ج٢: ص٦٨٠، وانظر فيض القدير، المناوي: ج٦ ص٣٨٧؛ وقال المناوي: «لكن تعدد طرقه ربما يصيره حسناً»؛ النزاع والتخاصم، المقريزي ص١٣٢، مع اختلاف في اللفظ.

(٢) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ج٥٠ ص٢٥٥، تاريخ اليعقوبي، اليعقوبي: ج٢ ص٢٠٦؛ وقريب منه في تذكرة الحفاظ، الذهبي: ج١ ص١٢، نزهة الناظر وتنبيه الخاطر، الحلواني: ص٥٧، كنز العمال، المتقي الهندي: ج ١٠ ص٢٦٣، (أخرجها عن ابن الأنباري في المصاحف والمرهبي في العلم ونصر في الحجة)، المعيار والموازنة، أبو جعفر الإسكافي: ص٨١، مناقب أمير المؤمنين: محمد بن سليمان القاضي: ج٢ ص٢٧٥، دستور معالم الحكم: ابن سلامة: ص٨٤، وقريب منه في ينابيع المودة: القندوزي الحنفي: ج١ ص٧٥.

الصادق عليه السلام، عن جدّه علي بن الحسين عليه السلام قال: «نحن أئمة المسلمين، وحجج الله على العالمين، وقادة الغرّ المحجّلين، ونحن أمان لأهل الأرض، كما أن النجوم أمان لأهل السماء، وبنا يمسك السماء أن تقع على الأرض إلاّ بإذنه، وبنا يُنزّل الله الغيث، وتنشر الرحمة، وتخرج بركات الأرض، ولولا ما على الأرض منّا لساخت بأهلها.

ثم قال: ولم تخل الأرض منذ خلق الله الأرض من حجّة فيها؛ إما ظاهر مشهور، أو غائب مستور، ولا تخلو الأرض إلى أن تقوم الساعة من حجة فيها، ولولا ذلك لم يعبد الله»[1].

قال سليمان الأعمش: فقلت، لجعفر الصادق عليه السلام: فكيف ينتفع الناس بالحجة الغائب المستور؟ قال: «كما ينتفعون بالشمس إذا سترها سحاب»[2]، فنجد أن الإمام زين العابدين عليه السلام يشير بقوله هذا إلى ما ذكره جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله، بقوله: «في كل خلوف من أمتي عدول من أهل بيتي، ينفون عن هذا الدين تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل

---

(١) ينابيع المودة، القندوزي: ج١ ص٧٥ و ج٣ ص ٣٦٠-٣٦١.

(٢) ينابيع المودة، القندوزي: ج١ ص٧٦ ج٣ ص٣٦١.

الجاهلين، ألا وإن أئمتكم وفدكم إلى الله عزّ وجلّ، فانظروا بمن توفدون»[١]، وقوله صلى الله عليه وآله المتقدم: «أهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض»[٢]. وأولئك العدول من أهل بيته ـ الذين هم أمان لأهل الأرض ـ هم الاثنا عشر خليفة الذين نصبهم خلفاء من بعده، وجعلهم قيّمين على هذا الدين، وقال صلى الله عليه وآله في حقهم: «إذا هلكوا ماجت الأرض بأهلها»[٣].

إذن، لا بد في كل زمان من إمام عادل، معصوم، لا يفترق عن القرآن، من أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله، يكون أماناً لأهل الأرض، به تتحقق عزّة الإسلام وصلاح الأمّة.

---

(١) الصواعق المحرقة، ابن حجر الهيتمي، باب الأمان ببقائهم: ص٣٥٢؛ ذخائر العقبى، محب الدين الطبري: ص١٧؛ ينابيع المودة، القندوزي: ج٢ ص١١٤.

(٢) المستدرك: الحاكم: ج٢ ص٤٤٨؛ قال فيه: صحيح الإسناد ولم يخرجاه؛ شواهد التنزيل، الحسكاني: ج١ ص٤٢٦، ذخائر العقبى، الطبري: ص١٧، ونحوهُ النزاع والتخاصم، المقريزي: ص١٣٢.

(٣) المعجم الكبير: الطبراني: ج٢ ص١٩٦ ح١٧٩٤؛ كنز العمال، متقي الهندي: ج١٢ ص٣٤.

الغيبة لطف إلهي

أمّا في زماننا هذا، فإن الأمام المهدي عليه السلام من أهل البيت هو خليفة الله في أرضه، كما هو واضح من الروايات المستفيضة عن الرسول صلى الله عليه وآله، منها قوله: «فإن فيها خليفة الله المهدي»[1]، ولذا نجد المناوي في كتابه (فيض القدير) في ذيل هذه الرواية يشير إلى أن الأمام المهدي هو الإنسان الكامل، وهو خليفة الله في أرضه، حيث قال: «فإن قلت ما حكمة إضافته إلى الله، وهلاّ قال الخليفة ؟ قلت: هو إشارة إلى أنه إنسان كامل قد تجلى عن الرذائل، وتحلّى بالفضائل، ومحل الاجتهاد والفتوة، بحيث لم يفته إلاّ مقام النبوة»[2].

إلاّ أن الأمر المهم الذي ينبغي الالتفات إليه، هو أنه عليه السلام غائب مستور، إذ أن الإمام المهدي عليه السلام يمتاز عن بقية آبائه عليهم السلام بخصوصية إضافية، وهي أن الإرادة الإلهية شاءت أن يقام العدل في هذه الأرض على يده المباركة،

---

(١) مسند أحمد، أحمد بن حنبل، ج٥ ص٢٧٧، ونحوه في المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري: ج٤ ص٤٦٤؛ الجامع الصغير، السيوطي: ج١ ص١٠٠ ح٦٤٨.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي: ج١ ص٤٦٦ ح٦٤٨.

وشاءت أيضاً أن لا يكون قيام العدل إلاّ في ضمن الشروط الطبيعية، لا بالطريق الإعجازي - كما تقدم - وحيث إن شرائط الظهور وإقامة العدل - من طرقها الطبيعية التي أرادها الله تعالى لها - غير متوفرة إلى يومنا الحاضر، فلا بد من استمرار الغيبة، والخفاء حتى توفر شرائط الظهور ويأذن الله عزّ وجلّ بالظهور، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى إن وجود الإمام المهدي عليه السلام ظاهراً بين الناس يجعله عرضة للقتل - كما سيأتي - ومن هنا كانت الغيبة للإمام، وحفظه من كيد الأعداء، لطفاً من الله تعالى بعباده، من أجل تحقيق الهدف الإلهي وثمرة الأديان بإقامة العدل والقسط في الأرض، كما قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾[1].

ومما تقدم يتبين أن غيبة الإمام والحجة عليه السلام إنما هي حالة استثنائية في حياة البشرية، وبالخصوص في حياة الأمّة الإسلامية - لأن الحالة الطبيعية هي وجوده بين أشياعه

(١) الحديد: ٢٥.

وأتباعه يتعاطى معهم بشكل معلن ومباشر ـ وذلك من أجل الحفاظ عليه، وادّخاره لذلك اليوم الموعود.

حقيقة الغيبة: خفاء الهوية والعنوان لإخفاء الشخصية

لا شك أن الحالات الاستثنائية يقتصر فيها على ما ترتفع به الضرورة، وحيث إن الضرورة هي احتجابه عليه السلام عن الناس، بما يوجب نجاته والمحافظة عليه من براثن الظلم والعدوان، فمقدار الغيبة حينئذ يقتصر فيه على خفاء العنوان، واستتار الهوية ليس أكثر، وإن كانت الضرورة قد تقتضي خفاء المعنون أيضاً على ما أشارت إليه بعض الروايات؛ لأن هذا المقدار من الغيبة كاف لرفع حالة الاستثناء، فهو عليه السلام موجود بشخصه الكريم في وسط الناس، وليست غيبته باختفاء جسمه عن الأنظار، كاختفاء الجن، أو الملائكة أو غير ذلك، بل إنّ الناس يرون الإمام المهدي عليه السلام بشخصه المبارك، ولكن من دون أن يكونوا عارفين له أو ملتفتين إلى حقيقته وشخصه وهويته، وهذا ما نصّت عليه جملة من الروايات:

منها: ما ورد عن الإمام علي عليه السلام، حيث قال: «إذا غاب المتغيب من ولدي عن عيون الناس، وماج الناس بفقده، أو بقتله، أو بموته، اطلعت الفتنة. ونزلت البليّة... فوربّ عليّ إن حجتها عليها قائمة، ماشية في طرقها، داخلة في دورها وقصورها، جوّالة في شرق هذه الأرض وغربها، تسمع الكلام، وتسلّم على الجماعة، ترى ولا تُرى، إلى الوقت والوعد، ونداء المنادي من السماء، ألا ذلك يوم فيه سرور ولد عليّ وشيعته»[1] وهذه الرواية أكدت على خفاء العنوان كما هو واضح وإن أشارت في الأثناء إلى خفاء العنوان والمعنون معاً أيضاً في بعض الأحيان.

ومنها: ما جاء عن الإمام الصادق عليه السلام، حيث قال: «فما تنكر هذه الأمّة أن يكون الله يفعل بحجته ما فعل بيوسف، وأن يكون صاحبكم المظلوم، المجحود حقّه، صاحب الأمر يتردّد بينهم، ويمشي في أسواقهم، ويطأ فرشهم، ولا يعرفونه، حتى يأذن الله له أن يعرفهم نفسه، كما أذن ليوسف، حين قال له إخوته: ﴿أَإِنَّكَ لأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَاْ يُوسُفُ﴾[2]»[1].

---

(١) الغيبة: محمد بن إبراهيم النعماني: ص١٤٣.
(٢) يوسف: ٩٠.

ومنها: ما جاء أيضاً عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: «في القائم سنّة من موسى، وسنة من يوسف، وسنّة من عيسى، وسنّة من محمد صلى الله عليه وآله ... وأما سنّة يوسف فإن إخوته كانوا يبايعونه، ويخاطبونه، ولا يعرفونه»[٢].

وفي رواية أُخرى: «وسنّة من يوسف بالستر، يجعل الله سبحانه بينه وبين الخلق حجاباً يرونه، ولا يعرفونه»[٣].

ومنها: ما ورد كذلك عن أبي عبد الله عليه السلام: «يفقد الناس إمامهم، وإنه يشهد الموسم، فيراهم ولا يرونه»[٤] والمراد من عدم الرؤية عدم معرفته عليه السلام بشخصه وعنوانه، بقرينة ما يأتي وما تقدم من الروايات.

ومنها: قول محمد بن عثمان العمري، وهو أحد سفراء ووكلاء الإمام المهدي عليه السلام في غيبته الصغرى: «والله إن صاحب هذا الأمر ليحضر الموسم كل سنة، يرى الناس ويعرفهم،

---

(١) الغيبة، النعماني: ص١٦٤.

(٢) كمال الدين، الصدوق: ص٢٨.

(٣) كمال الدين، الصدوق: ص٣٥١؛ الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندي: ج٢ ص٩٣٧.

(٤) أصول الكافي، الكليني: ج١ ص٣٣٨.

ويرونه ولا يعرفونه»[١].

ما الفائدة من الإمام الغائب ؟

بعد الوقوف على حقيقة وهوية الغيبة، وأنها ليست إلاّ استتار العنوان فقط وإن كان استتار المعنون قد يحصل أيضاً كما أشارت إلى ذلك بعض الروايات، وهو ما يقع لأجل تقدير بعض الظروف والضرورات المقتضية لذلك، يتضح أن الإمام المهدي عليه السلام حاضر بوجوده المبارك بين الناس، ولكن – بعد أن أثبتنا ضرورة وجوده عليه السلام – قد لا يمكننا أن نشعر أو نحيط بفوائد وجوده المبارك، كما أشار إلى ذلك الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله حينما سأله جابر بن عبد الله الأنصاري عن فائدة الإمام في غيبته، فقال صلى الله عليه وآله: « **والذي بعثني بالحق إنهم ليستضيئون بنوره، وينتفعون بولايته في غيبته، كانتفاع الناس بالشمس وإن علاها سحاب**»[٢].

---

(١) من لا يحضره الفقيه: الصدوق: ج٢ ص٥٢٠؛ كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق: ص٤٤٠؛ الغيبة، الطوسي: ص٣٦٤.

(٢) كشف الغمة، الأربلي: ج٢ ص٣١٥؛ ينابيع المودة، القندوزي الحنفي: ج٣ ص٢٣٩.

ويمكن الإشارة في هذا المجال إلى بعض وجوه الانتفاع منه عليه السلام في غيبته، وما يقوم به من أعمال وأدوار، نذكرها على سبيل الإجمال والاختصار:

إدارة الإمام عليه السلام في زمن الغيبة

قد تقدم آنفاً ضرورة وجود الحجّة من أهل البيت عليهم السلام، واستمراره إلى قيام الساعة، ولولاه لساخت الأرض بأهلها، ونضيف إلى ذلك القول: بأن الإمام عليه السلام يمارس أدواره التي لا تتقاطع مع غيبته، فهو عليه السلام يمارس دوره الاجتماعي والسياسي بالمباشرة، أو بتوسط مجموعة من رجال الغيب الذين يُصطلح عليهم بالأبدال، والسيّاح الذين يديرون حكومته الخفيّة، ويتصرفون في مقادير الأمّة، بل البشرية جمعاء، من أجل درئها عن الانحراف، وحفظها عن الزيغ والضلال، والوقوع في الهاوية، وهذا ما تشير إليه الروايات الواردة من طرق الفريقين:

١- قال السيوطي في (الدّر المنثور): «وأخرج الطبراني في الأوسط بسند حسن، عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لن

تخلو الأرض من أربعين رجلاً، مثل خليل الرحمن، فبهم تسقون وبهم تنصرون، ما مات منهم أحد إلاّ أبدل الله مكانه آخر».

وأخرج الطبراني في الكبير، عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الأبدال في أمتي ثلاثون، بهم تقوم الأرض، وبهم تمطرون، وبهم تنصرون.

وأخرج أحمد في (الزهد)، والخلال في (كرامات الأولياء)، بسند صحيح عن ابن عباس قال: ما خلت الأرض من بعد نوح من سبعة يدفع الله بهم عن أهل الأرض....

وأخرج ابن جرير عن شهر بن حوشب قال: لم تبق الأرض إلاّ وفيها أربعة عشر يدفع الله بهم عن أهل الأرض، ويخرج بركتها، إلاّ زمن إبراهيم، فإنه كان وحده.

وأخرج أحمد في الزهد، عن كعب قال: لم يزل بعد نوح في الأرض أربعة عشر يدفع الله بهم العذاب.

وأخرج الخلال في كرامات الأولياء عن زاذان قال: ما خلت الأرض بعد نوح من اثني عشر فصاعداً، يدفع الله بهم عن أهل الأرض»[1].

٢- ما أخرجه الهيثمي، عن عبادة بن الصامت، عن

(١) الدر المنثور، السيوطي: ج١ص٧٦٥-٧٦٦.

النبي صلى الله عليه وآله، أنه قال: «الأبدال في هذه الأمة ثلاثون، مثل خليل الرحمن عزّ وجلّ، كلّما مات رجل أبدل الله تعالى مكانه رجلاً»[١]، قال الهيثمي: رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح، غير عبد الواحد بن قيس، وقد وثّقه العجلي، وأبو زرعة[٢].

٣- وعن عبادة بن الصامت أيضاً، عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال:«لا يزال في أمتي ثلاثون، بهم تقوم الأرض، وبهم تمطرون، وبهم تنصرون»[٣] قال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط، وإسناده حسن[٤]، وقد صححه العزيزي، والمناوي، في شرحيهما على الجامع الصغير للسيوطي[٥].

وقال المناوي في فيض القدير: «وهذه الأخبار وإن فرض ضعفها جميعها، لكن لا ينكر تقوي الحديث الضعيف بكثرة طرقه وتعدد مخرجيه، إلاّ جاهل بالصناعة الحديثية، أو معاند متعصب،

---

(١) مجمع الزوائد، الهيتمي: ج١٠ ص٦٢؛ عون المعبود، العظيم آبادي: ح٨ ص١٥١ ج١١ ص٢٥٣؛ كنز العمّال، المتقي الهندي: ج١٢ ص١٨٦.

(٢) مجمع الزوائد، الهيتمي: ج١٠ ص٦٢.

(٣) مجمع الزوائد، الهيتمي: ج١٠ ص٦٢ ـ ٦٣؛ عون المعبود، العظيم آبادي: ج٨ ص١٥١؛ فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي: ج٣ ص٢١٧.

(٤) مجمع الزوائد: ج١٠ ص٦٢ ـ ٦٣.

(٥) نقلاً عن عون المعبود: ج٨ ص١٥٢.

والظن به ـ أي بابن تيمية ـ أنه من قبيل الثاني»[١].

ثم إن أولئك الأبدال مستترون عن أعين الناس، كما نصّ على ذلك الغزالي، حيث قال: «إنما استتر الأبدال عن أعين الناس والجمهور؛ لأنهم لا يطيقون النظر إلى علماء الوقت، لأنهم جهّال بالله، وهم عند أنفسهم، وعند الجهلاء علماء»[٢].

وبعضٌ من الأبدال من أصحاب الإمام المهدي عليه السلام، يخرجون معه حين يخرج، كما أخرج ذلك نعيم بن حمّاد المروزي في «كتاب الفتن» عن عليّ عليه السلام قال: «إذا سمع العائذ الذي بمكة بالخسف خرج مع اثني عشر ألفاً، فيهم الأبدال»[٣].

إذن فهناك أوتاد وأبدال، على درجة عالية من الإيمان والإخلاص والتضحية في سبيل الإسلام، مستترون عن أعين الناس بخفاء عنوانهم الذي هم عليه، يقومون بإنجاز أدوار مهمّة في الأمّة، وقد ذكرت بعضها الروايات - كما تقدم- فلا غرابة حينئذ أن يستعين بهم الإمام المهدي عليه السلام

---

(١) فيض القدير، المناوي: ج٣ ص ٢٢٠.

(٢) نقلاً عن فيض القدير: ج٣ ص ٢٢٠.

(٣) كتاب الفتن، المروزي: ص٢١٥.

في إدارة حكومته المستترة أثناء غيبته، لا سيما وأن الروايات ذكرت أن بعضهم من أنصاره عليه السلام عند ظهوره، لإقامة دولة العدل والقسط.

ولا يخفى أن الإدارة الخفيّة أقوى وأشد تأثيراً في الواقع من الإدارة الظاهرة، كما هو الحال في ما نشاهده اليوم من التحكم بمقادير الأمور، وإدارة العالم بواسطة أجهزة المخابرات التي تعمل خلف الكواليس، وكذا ما في السياسات الماليّة الخفيّة، كالبنك الدولي الذي بيده مقادير سياسة العالم الاقتصادية، ولكن بصورة مبطّنة غير معلنة.

وجه التشابه بين الخضر عليه السلام والإمام المهدي عجل الله فرجه

وقد ضرب الله تعالى مَثَلاً لنا في قصة الخضر عليه السلام مثلاً لما يقوم به الإمام المهدي عليه السلام، حيث استعرض القرآن الكريم هذه القصة في وسط سورة الكهف، هذا مع علمنا بأن القرآن الكريم لم يكن هدفه من طرح هذه القصة تسطير الحكايات الخياليّة التي لا واقع لها ـ والعياذ بالله ـ فالقرآن الكريم منزّه عن ذلك.

قصة الخضر:

قال تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا * قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا * قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾[1].

فقد أمر الله عزّ وجلّ نبيّه موسى عليه السلام بالذهاب إلى الخضر عليه السلام المتخفي المستتر، حيث لم يكن أحد يعلم بمكانه إلاّ الله وموسى، بعد أن أعلمه الله تعالى بمحلّ تواجده، وذلك للتعلم والأخذ منه، والاطلاع على معالم الإدارة الإلهية الخفية، التي تدار بعيداً عن أعين الناس، فالخضر عليه السلام مع كونه متستراً، كما نقل ذلك النووي عن الثعلبي، قوله: «الخضر نبيّ معمّر على جميع الأقوال، محجوب عن الأبصار، يعني عن أبصار أكثر الناس»[2].

فهو عليه السلام منتدب من الله تبارك وتعالى لإنجاز الأوامر الإلهيّة، يعمل ضمن مجموعة خاصّة من البشر، لا يعلمها

---

(١) الكهف: ٦٥ ـ ٦٨.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي: ج١٥ ص١٣٦.

أحد من عامة الناس، وهم أوتاد الأرض وأبدالها كما تقدم ذكرهم، وكما تصرح بذلك الآية المباركة، حيث جاء فيها قوله عزّ وجلّ: ﴿عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا﴾.

ثم إن الخضر عليه السلام بنفسه قد صرّح لموسى عليه السلام بأن كل ما فعله لم يكن عن أمره، وإنما هو بأمر من الله تعالى، حيث قال: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾[1].

إذن هذه السورة المباركة تشير إلى وجود منظومة ومجموعة من البشر على وجه الأرض، هم عباد الله، اختصهم لنفسه، يقومون بإنجاز المهامّ الإلهية الخطيرة والمحورية التي لها الأثر البالغ والمهم على مسار البشرية، ولم يحظ موسى عليه السلام من ذلك، إلاّ بعد عدّة وقائع، استعرضها القرآن الكريم، ولم يصبر على تلقي المزيد من تلك الأدوار والمهام؛ ولذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «رحمة الله علينا، وعلى موسى، لو لبث مع صاحبه لأبصر العجب»[2].

---

(١) الكهف: ٨٢

(٢) جامع البيان، ابن جرير الطبري: ج١٥: ص٣٥٦؛ السنن الكبرى، النسائي: ج٦: ص٣٩١؛ تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي: ج٦ ص٣٩٧، تفسير القرآن العظيم: ابن كثير: ج٣ ص١٠٣.

فكان الخضر عليه السلام، ومجموعة من عباد الله الصالحين يديرون هذا العالم بطور وطراز آخر، على غير ما هو المألوف عندنا، بحسب الأسباب الظاهرة والإدارة المعلنة، وهذا ما صرّح به الكثير من المفسرين، كالمراغي في تفسيره تبعاً للفخر الرازي وغيره، حيث قال: «وأحكام هذا العالم مبنية على الأسباب الحقيقية الواقعة في نفس الأمر، وهذه لا يطلع الله عليها إلاّ بعض خواصّ عباده»[1].

ثم إنّ السورة المباركة تستعرض في هذه القصّة ثلاث قضايا مهمّة وأساسية في الحياة البشرية مارسها الخضر عليه السلام:

الأولى: وهي قضية سفينة المساكين التي خرقها الخضر عليه السلام حتى لا يغصبها الملك، قال تعالى: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾[2].

فلو صادرها الملك لأثّر ذلك سلباً على معيشة أولئك المساكين، حيث كانت السفينة مصدر رزقهم؛ لذا قال

(١) تفسير المراغي، المراغي: ج٦ ص٦، وكذا انظر: تفسير الفخر الرازي: ج١١ ص١٦٠.
(٢) الكهف: ٧٩.

الفخر الرازي في تفسيره: «إنّ تلك السفينة كانت لأقوام محتاجين، متعيشين بها في البحر، والله تعالى سماهم مساكين...»[١].

وقال المراغي في تفسيره، حكاية عن الخضر عليه السلام: «أما فعلي ما فعلته بالسفينة، فلأنها كانت لقوم ضعفاء، لا يقدرون على دفع الظلمة، وكانوا يؤاجرونها ويكتسبون قوتهم منها... وخلاصة ذلك: إنّ السفينة كانت لقوم مساكين عجزة، يكتسبون بها، فأردت بما فعلت إعانتهم على ما يخافون، ويعجزون عن دفعه، من غصب ملك قدّامهم، من عادته غصب السفن الصالحة»[٢].

الثانية: قصّة الغلام، وأنّه لو بقي حيّاً لكان في ذلك مفسدة لوالديه، في دينهما ودنياهما، و «لو بقي كان فيه بوارهما، واستئصالهما»[٣]، بل قد جاء في روايات الفريقين: أن الله تعالى أبدل أبويه ـ رحمة بهما ـ بجارية ولدت سبعين نبيّاً، فالسنّة الإلهية اقتضت أن لا يُرزقا تلك الجارية المباركة، إلاّ بعد فقدانهم ذلك الغلام.

---

(١) تفسير الرازي، الفخر الرازي: ج١١ ص ١٦١.

(٢) تفسير المراغي، المراغي: ج٦ ص٧.

(٣) الدر المنثور، السيوطي: ج٥ ص٤٢٩.

ولا يخفى ما في الدور الكبير لوجود سبعين نبياً في حياة البشر، وهدايتهم ورقيهم، كما نصّت على ذلك بعض الروايات، فقد أخرج ابن حجر، عن تفسير ابن الكلبي: «ولدت [أم الغلام] جارية، ولدت عدة أنبياء، فهدى الله بهم أمماً، وقيل: عدة من جاء من ولدها من الأنبياء سبعون نبياً»[1].

الثالثة: قصة إصلاح الخضر عليه السلام للجدار، لأنه لو انهار ذلك الجدار لضاع مال اليتيمين اللذين كان أبوهما صالحاً، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾[2].

خصائص الحكم الإلهي

لا يخفى أن العبر والمعطيات التي ضمّنها الله تعالى في قصة الخضر عليه السلام كثيرة ومهمّة جداً، ولكن نستعرض منها

(١) فتح الباري، ابن حجر: ج٨ ص٣٢٠؛ ونحوه تفسير القرطبي: ج١١ ص٣٧؛ وانظر فتح القدير، الشوكاني: ج٣ ص٣٠٦.

(٢) الكهف: ٨٢.

ما يتعلق ببحثنا وموضوعنا، وهي كالآتي:

١- **دوام الحاكمية الإلهية**: إنّ حاكمية الله تعالى في الأرض لا تنقطع أبداً إلى يوم القيامة، والذي يقوم بأداء وتنفيذ حكم الله في الأرض هو خليفته في أرضه، فخليفة الله هو الواسطة المباشرة لإجراء حاكميته تعالى.

وقد جاء ذلك في قوله عزّ وجلّ: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[١] سواء كان ذلك الخليفة رسولاً أم نبياً أم ولياً ووصياً من الأوصياء.

وقال تعالى أيضاً: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ﴾[٢].

وقال عزّ وجلّ: ﴿إِنَّما قَولُ المُؤمنينَ إذا دُعُوا إلى الله ورسولِهِ لِيَحكُمَ بينَهُمْ أنْ يَقُولُوا سَمِعْنا وأطَعْنا﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾[٤].

---

(١) البقرة: ٣٠.

(٢) يوسف: ٤٠.

(٣) النور: ٥١.

(٤) النساء: ٥٩.

فحاكمية الله تعالى ـ التي لا تقتصر على سلطته في التشريع فقط، بل يداه مبسوطتان في كل المجالات القضائية والسياسية والاقتصادية ـ يجريها على أيدي خلفائه من الرسل والأنبياء والأولياء والأوصياء.

هذا وقد أرشدنا الله عزّ وجل في قرآنه الكريم إلى خلفائه الذين جعلهم أئمة وقادة للبشرية جمعاء، ابتداءً من آدم عليه السلام أبي البشر، وأوّل خليفة لله على أرضه، ومروراً بنوح وإبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى وعيسى عليهم السلام، وانتهاءً برسول الله صلى الله عليه وآله خاتم الأنبياء، وأوصيائه عليهم السلام الهداة المهديين، حيث قال تبارك وتعالى:

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[1].

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾[2].

﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً

(١) السجدة: ٢٤.

(٢) الأنبياء: ٧٣.

وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾[١].

﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[٢].

ومن حصيلة هذه النصوص القرآنية وغيرها مما يشاركها في المضمون، يتضح أنّ الله عزّ وجلّ قد جعل خلفاء له في الأرض، ينفّذون حاكميته في الأرض، ويمثّلون مظهراً وتجلياً لسلطنته على الخلق.

٢- شمولية الحاكمية الإلهية: ثم إنّ تلك الحاكمية لله تعالى شاملة لكل المجالات، ولجميع الأمور مهما كان حجمها، وهذا ما نلمسه واضحا من النصوص القرآنية، حيث نجد أن الله تبارك وتعالى هو الحاكم في جميع الأمور، وكان النبي الأكرم صلى الله عليه وآله منفذاً لحكم الله في الأرض، ومن تلك الآيات المباركة، قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الأَسْرَى إِن يَعْلَمِ اللّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ

---

(١) القصص: ٥.

(٢) البقرة: ١٢٤.

غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[١].

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾[٢].

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾[٣].

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً﴾[٤].

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ﴾[٥].

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٧].

وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ

(١) الأنفال: ٧٠.
(٢) التوبة: ٧٣.
(٣) الأنفال: ٦٥.
(٤) الأحزاب: ٢٨.
(٥) التحريم: ١.
(٦) المائدة: ٦٧.
(٧) النحل: ٤٤.

نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنتَ اللّه عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّـهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[٢].

وغيرها من النصوص القرآنية الأخرى.

وقد خاطب الله تعالى نبيّه صلى الله عليه وآله في القرآن الكريم بـ« قل كذا» و«قل كذا» في أكثر من (٣٥٠) مورداً، وكانت الأوامر الإلهية تنزل على رسول الله صلى الله عليه وآله في كل صغيرة وكبيرة، بدءاً من بيته وشؤونه الخاصة، ومروراً بقضايا الحكومة والدولة وإدارة شؤون المسلمين ومسائل الحرب وقضايا الجهاد وغيرها، فلا يُعقل أن هذه الحاكمية الحيّة والفعّالة من قبل الله تعالى تجاه قضايا الإسلام والمسلين والتي تجري وتُنفّذ عن طريق خليفته المعصوم عن الخطأ، وهو رسول الله صلى الله عليه وآله، تنقطع بين ليلة وضحاها، ويوكل الأمر إلى عامّة المسلمين الذين يجهلون أبسط المسائل الفقهية، فضلاً عن غيرها من القضايا المهمة في حياة المسلمين،

---

(١) آل عمران: ٦١.

(٢) الأنفال: ٦١.

والبشرية بصورة عامة.

إذن لابد من وجود من ينفّذ حاكميته تعالى بعد رسوله الأكرم صلى الله عليه وآله، وذلك هو الخليفة الحقّ الذي يحمل مزايا الأنبياء والأوصياء والرسل؛ ليكون قادراً على تحمل الأمانة، وتنفيذ تلك الحاكمية بالنحو الذي أراده الله عزّ وجلّ، منذ بدء الخلق إلى قيام الساعة، وقد نصب رسول الله صلى الله عليه وآله، بأمر من الله تعالى ذلك الخليفة من بعده، وهم أهل بيته، عليّ وبنوه عليهم السلام، وهم الخلفاء الاثنا عشر، كلهم يعمل بالهدى ودين الحق، إذا ذهبوا ماجت الأرض بأهلها.

ثم إن هذا المعنى من الحاكمية المستمرة لله تعالى في الأرض يلتقي مع مقولة الخضر لموسى عليه السلام: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾[1]، أي أن هذه الأفعال التي قمت بها ليست بمحض إرادتي، بل هي بأمر من الله تعالى، وإجراء لحاكميته.

وعلى هذا الأساس نقول: إن خليفة الله في الأرض، القائم بهذا الدور في هذا العصر، هو الإمام المهدي عليه السلام، فهو الذي يقوم بتنفيذ أوامر الله سبحانه وتعالى، ولكن في

(١) الكهف: ٨٢

الخفاء، لأجل الحكمة والأسباب التي اقتضت ذلك، إلى أن يأتي أمر الله سبحانه بالظهور، وإقامة دولة العدل والقسط، فيكون الحق معلناً، والباطل ضامراً خاسئاً.

وقد جاء ذكر ذلك الدور الفاعل للإمام المهدي عليه السلام في عصر الغيبة في كثير من الروايات على لسانه عليه السلام، منها قوله عليه السلام: «فإنا نحيط علماً بأنبائكم ولا يعزب عنا شيء من أخباركم»[1]، وقوله عليه السلام: «إنا غير مهملين لمراعاتكم، ولا ناسين لذكركم، ولو لا ذلك لنزل بكم اللأواء، واصطلمكم الأعداء، اتقوا الله جلّ جلاله، وظاهرونا على انتياشكم من فتنة، قد أنافت عليكم، يهلك فيها من حمّ أجله، ويحمى عنها من أدرك أمله»[2].

دور الإمام عليه السلام في درء الفساد:

من الأدوار الأساسية التي يقوم بها خليفة الله في الأرض، هو منع البشرية من الانحدار في الهاوية، ودرء خطر استئصالها، والإبادة التامة والشاملة لها، سواء كان ذلك نتيجة

(١) الاحتجاج، الطبرسي: ج٢ ص ٣٢٣، الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندي: ج٢ ص٩٠٢.

(٢) الاحتجاج، الطبرسي: ج٢ ص ٣٢٣.

للحروب، أم لتفشي الظلم والجور والفساد، وانتشار الأمراض والأوبئة وغيرها من الأمور التي تهدد البشرية بالانقراض.

وهذا المعنى أشار إليه القرآن الكريم، عند ذكره لاعتراض الملائكة، في معرض تعريفه للخليفة، وذلك في قوله تعالى - حكاية عن الملائكة: ﴿قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[1]، فالملائكة افترضت أن خليفة الله لا يفسد، ولا يسفك الدماء، بل هو الذي يقف حائلاً أمام ذلك، وقد أقرّهم الله تبارك وتعالى على ذلك، وأجابهم من جهة أخرى، حيث قال: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾.

إذن أوّل دور من الأدوار الأساسية التي يقوم بها خليفة الله في الأرض، هو درء الفساد، وممانعة سفك الدماء, وهذا ما يلتقي مع التصريحات الكثيرة للنبي صلى الله عليه وآله في هذا المجال، كقوله صلى الله عليه وآله: «لا تخلوا الأرض من حجة» وقوله صلى الله عليه وآله: «أهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض» وغير ذلك من التصريحات النبويّة، التي

(١) البقرة: ٣٠.

تؤكد على أن من بين الأدوار الأساسية للخلفاء حفظ البشرية من الهلاك، ومنع وقوعها في الفساد.

ثم إنّ السؤال الأساس يقع عمّا هو المراد بالفساد؟ وهل يشمل كل فساد ولو كان جزئياً ؟

وفي مقام الإجابة عن ذلك نقول: ليس المراد من الفساد ما يشمل الفساد الجزئي والمقطعي، وذلك بمقتضى اعتراف الملائكة، حيث إنهم لم يعترضوا على الفساد القليل؛ لأن الفساد القليل يقابله الخير الكثير، فاعتراض الملائكة إنما كان على الفساد المطبق، والشامل للأرض ومن عليها المستأصل للبشرية، والموجب لاجتثاثها وهلاكها.

فدور الخليفة إذاً لا يقتصر على فئة معينة من الناس، أو على المسلمين فحسب، وإنما هو شامل لكل البشرية، لذا قال تعالى شأنه: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ﴾، وكذا قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا تخلو الأرض من حجة»[1] وقوله: «إذا هلكوا

(١) المعجم الكبير، الطبراني: ج٢ ص١٩٦ ح ١٧٩٤؛ كنز العمال، المتقي الهندي. ج١٢ ص٣٤ ح٣٣٨٦١؛ وانظر: تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ج ٥٠ ص٢٥٥؛ وانظر تاريخ اليعقوبي، اليعقوبي: ج٢ ص٢٠٦؛ وانظر ينابيع المودة، القندوزي الحنفي: ج١ ص٨٩؛ وانظر المناقب، الخوارزمي: ص٣٦٦.

ماجت الأرض بأهلها»، وقوله: «أهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض»، فلم يقل هلك أو ذهب المسلمون خاصة، أو ماجت الأرض بهم.

فالإمام المهدي عليه السلام الذي هو خليفة الله في الأرض، يمارس دوراً كبيراً في حياة البشرية، وإن لم يتقلد الحكومة الرسمية الظاهرة، فهو عليه السلام كما هو الحال في الخضر عليه السلام، الذي هو وليّ من أولياء الله تعالى، وعبد من عباده، قلّده مناصب عالية وحكومة رائدة، يديرها بالسر والخفاء.

فقصّة الخضر عليه السلام - الذي هو عبد من مجموعة عباد جعلهم الله أوتاداً للأرض - ذكرها الله عزّ وجلّ في قرآنه الخالد، عظة وعبرة لنا، وليست هي مجرد قصة خيالية لا واقع لها، وإنما الغاية من هذه القصّة هي الاعتقاد بوجود أولياء وحجج لله تعالى، يقومون بمهام إلهية، ويديرون دفّة الحكم الإلهي في الأرض.

إذن ليست الغيبة بمعنى التعطيل والجمود، كما قد يتخيلها البعض.

إذن فالإمام المهدي عليه السلام له دور كبير في فترة غيبته.

أضف إلى ذلك كله، أن هناك أعمالاً وأفعالاً أوكل الإمام عليه السلام مهمّة القيام بها إلى من قلّدهم النيابة العامة في زمن الغيبة، وهم العلماء والفقهاء العدول، ليكونوا بذلك ممثلين له عليه السلام، ينوبون عنه في بعض المهام التي أوكلت إليهم، كما ورد ذلك عنه عليه السلام، حيث قال: «وأمّا الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فإنهم حجتي عليكم، وأنا حجة الله عليهم»[1].

وقد أشار باقي الأئمة عليهم السلام أيضاً إلى هذا الدور المهم للعلماء في عصر الغيبة الكبرى ـ فمثلاً ـ ما عن الإمام الهادي عليه السلام أنه قال: «لو لا من يبقى بعد غيبة قائمكم عليه الصلاة والسلام من العلماء الداعين إليه، والذّابين عن دينه بحجج الله، المنقذين لضعفاء عباد الله من شباك إبليس ومردته، ومن فخاخ النواصب، لما بقي أحد إلاّ أرتد عن دينه، ولكنهم الذين يمسكون أزمة قلوب ضعفاء الشيعة كما يمسك صاحب السفينة سكانها، أولئك هم الأفضلون عند الله»[2].

---

(١) الغيبة، الطوسي: ص٢٩١؛ الاحتجاج: الطبرسي: ج٢ ص٢٨٣؛ الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندي: ج٣ ص١١١٤.

(٢) الاحتجاج: الطبرسي: ج٢ ص٢٦٠.

ونقتصر في هذا المجال على ما أفاده الشيخ المفيد رحمه الله، حيث قال بعد تعرضه لبعض مهام الغيبة: «ولا يحتاج هو عليه السلام إلى تولي ذلك بنفسه، كما كانت دعوة الأنبياء عليهم السلام تظهر بأتباعهم والمقرّين بحقهم، وينقطع العذر بها فيما ينأى عن ملتهم ومستقرهم، ولا يحتاجون إلى قطع المسافات لذلك بأنفسهم، وقد قامت أيضاً بأتباعهم بعد وفاتهم... وكذلك إقامة الحدود وتنفيذ الأحكام، وقد يتولاها أُمراء الأئمة، وعمالهم دونهم، كما كان يتولى ذلك أمراء الأنبياء عليهم السلام وولاتهم، ولا يخرجون هم إلى ذلك بأنفسهم، وكذلك القول في الجهاد، ألا ترى أنه يقوم به الولاة من قبل الأنبياء والأئمة دونهم، ويستغنون عن توليه بأنفسهم، فعُلم بما ذكرناه أن الذي أحوج إلى وجود الإمام، ومنع من عدمه، ما أختص به من حفظ الشرع، الذي لا يجوز ائتمان غيره عليه، ومراعاة الخلق في أداء ما كلفوه من أدائه»[1].

والحاصل: إن للإمام عليه السلام طوراً آخر من أطوار الإدارة والحكم في زمن الغيبة، وأما تنفيذ الكثير من الأمور التي تحتاج إلى إجراء بحسب ما هو الظاهر والمعلن، فقد أوكل

(١) مسائل عشر، الشيخ المفيد: ص١٠٦-١٠٧.

ذلك عليه السلام إلى العلماء والفقهاء.

خلفيات وفوائد أخرى للغيبة

أولا: حفظ شخصية الإمام عليه السلام :

من أهم فوائد غيبة الإمام عليه السلام هي حفظ شخصيته عليه السلام من القتل والاغتيال؛ لأن هذه الأمة الإسلامية لا تعدو خطى الأمم السابقة، كما صرح بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله، وأن هذه الأمة ستتبع خطى الأمم السالفة، حذو النعل بالنعل، والقذّة بالقذّة، وقد وقعت الغيبة لكل من إدريس وصالح وإبراهيم ويوسف عليهم السلام، وقد اضطّر موسى عليه السلام إلى الهرب من قومه ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾[1]، وكذلك رفع الله عيسى عليه السلام، عندما أراد بنو إسرائيل قتله، حيث قال تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[2] كذلك كان رسول الله صلى الله عليه وآله يحتجب عن قومه في غار حراء فترة مديدة من الزمن، وقد اضطر للاعتزال عنهم في الشعب ثلاث سنين،

---

(١) الشعراء: ٢١.

(٢) النساء: ١٥٨.

وأخرج أحمد بن حنبل عن عكرمة قوله: مكث النبي صلى الله عليه وآله خمس عشرة سنة، منها أربع أو خمس يدعو إلى الإسلام سراً وهو خائف[1].

فإذا كانت غيبة واحتجاب أولئك الأنبياء عليهم السلام لا تضر، ولا تقدح في نبوتهم وبعثتهم للأمم، بل يعد ذلك من الأساليب المهمة في سبيل انجاز وتحقيق الغاية، لاسيما وأنه امتثال لمشيئة الله تعالى وإرادته، كذلك ما نجده في غيبة الإمام المهدي عليه السلام، إذ أن غيبته كغيبتهم عليهم السلام، وظروفه كظروفهم، من متابعته ومحاولة قتله والقضاء عليه، بل ما نجده في حياة الإمام المهدي عليه السلام من الظروف التي تستدعي الغيبة كثيرة جداً، وفي غاية الوضوح، حيث كانت السلطات العباسية تسعى حثيثاً للقبض عليه وقتله، كما نصّ على ذلك المؤرخون والمحدثون:

منهم: ابن الصباغ المالكي، حيث قال: «خلّف أبو محمد الحسن ابنه الحجة القائم المنتظر لدولة الحق، وكان قد أخفى

---

(١) كتاب العلل، أحمد بن حنبل: ج٢ ص٥٩٠ ج٣ ص٤٢٦، وكذا في الدر المنثور. السيوطي ج٥: ص١٠٢، المصنف: الصنعاني ج٥ ص٣٦١.

مولده، وستر أمره، لصعوبة الوقت، وشدّة طلب السلطان، وتطلّبه للشيعة، وحبسهم، والقبض عليهم»[١].

ومنهم: ابن أبي الفتح الأربلي في كتابه «كشف الغمة»، وعبارته قريبة من عبارة ابن الصباغ المتقدمة، وينقل بالإضافة إلى ذلك رواية أحمد بن عبيد الله بن خاقان، والي الضياع والخراج بقم، وجاء فيها: «وخرجنا وهو على تلك الحال، والسلطان يطلب أثر ولد الحسن بن علي اليوم، وهو لا يجد إلى ذلك سبيلاً، والشيعة مقيمون على أنه مات وخلّف ولداً، يقوم مقامه بالإمامة»[٢] وغيرهم كثير، فراجع.

وهذا السبب وإن كان غير مختص به دون آبائه عليهم السلام، حيث تعرضوا للمطاردة والقتل والاغتيال؛ إلاّ أن السبب الأساس الذي يقف وراء اختصاص الإمام المهدي بالغيبة دونهم عليهم السلام، هو أنه عليه السلام مكلف بإقامة الدولة الإسلامية العالمية، وعلى يديه يحقق الله تعالى العدل والقسط على هذه الأرض، وبواسطته يُظهر الله عزّ وجلّ الإسلام على

---

(١) الفصول المهمة، ابن الصباغ المالكي: ص١٠٩١.

(٢) كشف الغمة، الأربلي: ج٣ ص٢٠٥.

الدين كلّه ولو كره المشركون، فلا بد من المحافظة على وجوده المبارك لإنجاز هذه المهمة التي جعلها الله تعالى الغاية الأساسية من بعثة الأنبياء والرسل.

ولا تعني غيبته واختفاؤه عليه السلام انتفاء إمامته، أو تخلّيه عن المسؤوليات المُناطة به، بل هو الحجة القائمة لله على خلقه، ولكن ستره الله تعالى عن خلقه خوفاً على حياته من الظالمين، كما صرح بذلك أمير المؤمنين علي عليه السلام، حيث قال: «**اللّهم بلى لا تخلو الأرض من قائم بحجة، إما ظاهر مشهور، وإما خائف مغمور، لأن لا تبطل حجج الله، وبيّناته**»[1]، وخائف مغمور أي خائف مختف، وقد بيّنا سابقاً أن الغيبة لا تعني أنه ناء وبعيد وعديم الدور في الأمّة، وإنما الغيبة هي إدارة الأمور والعمل بالخفاء.

ومعنى الخوف من القتل ليس ما يتبادر إلى الأذهان

(١) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ج٥٠ ص٢٥٥، وانظر تاريخ اليعقوبي: ج٢ ص٢٠٦، وانظر كنز العمال: ج ١٠ ص٢٦٣ - ٢٦٤ «أخرجها عن ابن الأنباري في المصاحف والمرهبي في العلم ونصر في الحجة»، المعيار والموازنة، الإسكافي: ص٨١؛ مناقب أمير المؤمنين، محمد بن سليمان القاضي: ج٢ ص٩٦؛ دستور معالم الحكم: ابن سلامة: ص٨٤، ينابيع المودة، القندوزي الحنفي: ج١: ص٨٩.

الساذجة، من المعاني الأوّلية للخوف، لأن هذا النوع من الخوف غير متصور في أولياء الله تعالى وحججه الذين يأنسون بالموت ولقاء الله عزّ وجلّ، وإنما المقصود من خوف القتل هنا هو الخوف على ضياع الغرض والهدف الإلهي الذي أُنيط به عليه السلام، حيث أن مسؤوليته عليه السلام جسيمة وعظيمة تشبه مسؤولية الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، الذي صدع بأمر الله تعالى، لنشر الدين على وجه الأرض، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «هو رجل من عترتي، يقاتل على سنتي، كما قاتلت أنا على الوحي»[1].

فالخوف المقصود إنما هو الخوف من استئصال الحجج الإلهية على الخلق، كما ورد ذلك في الروايات متضافراً:

منها: ما جاء عن زرارة قال: سمعت أبا عبد الله يقول: إن للغلام غيبة قبل أن يقوم، قال: «قلت ولم؟ قال: يخاف، وأومأ إلى بطنه، ثم قال: يا زرارة وهو المنتظر...»[2].

ومنها: ما عن أبي عبد الله عليه السلام أيضاً قال: «للقائم غيبة قبل

---

(١) كتاب الفتن، المروزي: ص٢٢٩؛ ينابيع المودة، القندوزي: ج٣ ص٢٦٣.

(٢) الكافي، الكليني: ج١ ص٣٣٧؛ تاريخ آل زرارة، أبو غالب الزراري: ج١: ص٢١؛ كمال الدين، الشيخ الصدوق: ص٣٤٦؛ الغيبة: النعماني: ص١٧٧.

قيامه, قلت: - أي زرارة- وَلِمَ ؟ قال: يخاف على نفسه الذبح»[١].

ومنها: ما جاء عن أبي بصير قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «في صاحب هذا الأمر أربعة، من سنن أربعة أنبياء... فأما من موسى: فخائف يترقب»[٢].

ومنها: ما عن المفضل بن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إذا قام القائم عليه السلام قال: ففررت منكم لمّا خفتكم فوهب لي ربي حكماً...»[٣].

ومنها: ما جاء في كشف الغمة للأربلي، عن الإمام الحسين عليه السلام قال: «في القائم منا سنن من الأنبياء، سنة من نوح، وسنة من إبراهيم، وسنة من موسى، وسنة من عيسى، وسنة من أيوب، وسنة من محمد صلى الله عليه وآله... وأما من موسى فالخوف، والغيبة...»[٤].

---

(١) كمال الدين تمام النعمة، الصدوق: ص٤٨١.

(٢) الإمامة والتبصرة: ص ٩٤، كمال الدين، الصدوق: ص٢٨؛ دلائل الإمامة، محمد بن جرير الطبري: ص ٤٧٠؛ كتاب الغيبة، الطوسي: ص٤٢٤.

(٣) الغيبة، محمد بن إبراهيم النعماني: ص١٧٤.

(٤) كشف الغمة، الأربلي: ج٣ ص٣٢٩، إكمال الدين وإتمام النعمة، الصدوق: ص٣٢٢.

وكذلك في كشف الغمة، في حديث محمد بن مسلم، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إن قدام القائم بلوى من الله، قلت: وما هو جعلت فداك؟ فقرأ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾[1]، ثم قال: الخوف من ملوك بني فلان، والجوع من غلاء الأسعار، ونقص الأموال من كساد التجارات، وقلّة الفضل فيها، ونقص الأنفس بالموت الذريع، ونقص الثمرات بقلّة ريع الزرع، وقلّة بركة الثمار، ثم قال: وبشر الصابرين عند ذلك بتعجيل خروج القائم عليه السلام»[2].

ثانيا: التمحيص

معنى التمحيص: هو التطهير مع شدّة الاختبار، لأنّ مادة (محص) تدلّ على الخلوص، والتطهير من كل عيب، كما يقال محّص الذهب بالنار، أي خلّصه مما يشوبه.

وعلى ضوء ذلك كان التمحيص والابتلاء والاختبار سنة إلهيّة رافقت البشرية منذ بداية خلقها، قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ اللّهُ

---

(١) البقرة: ١٥٥.

(٢) كشف الغمة، الأربلي: ج٣ ص٢٦٠.

لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىَ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾[١].

وكذا قال تبارك وتعالى: ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾[٢]، وكقوله تعالى: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[٣]، فمن خلال التمحيص يتعين مركز الفرد وواقعه تجاه عقيدته وإيمانه، استقامة أو انحرافاً، كما يكشف التمحيص عن عناصر القوة والضعف في نفسية الإنسان، فهو طريق لاستكمال النفوس ورقيها، فإذا ورد التمحيص على جماعة من الناس فإنّه يقتضي امتياز المؤمنين من المنافقين.

وتتضاعف أهمية التمحيص في عصر الغيبة فيما إذا اقترن بالإعداد ليوم الظهور، لتحمل المسؤولية، والمشاركة في إنقاذ العالم من الظلم والجور الذي يفترض فيه وجود عدد كاف ممحص ومطهر من شوائب الكفر والشرك والنفاق، ليكونوا من المخلصين الذين لهم شرف المشاركة في الدولة الكريمة العادلة بقيادة الإمام المهدي عليه السلام.

(١) آل عمران: ١٧٩.
(٢) آل عمران: ١٤١.
(٣) آل عمران ١٥٤.

ومن هذا المنطلق نعرف أهمية التمحيص والاختبار الذي أشارت إليه الروايات بكثافة.

ومما يشهد على أهمية التمحيص ودوره في تمييز الخبيث من الطيب، ما لمسناه واضحاً من الردّة والانقلاب على الأعقاب بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، حيث وجدنا أنّ الكثير ممن رافقوا رسول الله صلى الله عليه وآله لم يصمدوا أمام غربال التمحيص والاختبار، بل انحرفوا عمّا رسمه لهم رسول الله صلى الله عليه وآله في وصاياه الكثيرة والمتعددة في شأن الإمامة والخلافة، فضلاً عما صرّح به القرآن الكريم في هذا الشأن، وهذا يدل على أن كثيراً من هؤلاء الأصحاب لم يكونوا ممحصين، ولا قادرين على تحمل المسؤولية.

ومن هنا نفهم سرّ عدم جعل الأئمة عليهم السلام الكفاح العسكري المسلح هو الخيار والحل الوحيد لإقامة الحق والعدل؛ وذلك لأنهم لا يرون القيام بالعمل العسكري وحده كافياً للانتصار وإقامة دعائم الحكم الصالح، بل يتوقف ذلك على إعداد جيش عقائدي ممحص مطهّر مخلص يؤمن بالإمام وعصمته وحاكميته إيماناً مطلقاً،

ويعي أهدافه الكبيرة، ويدعم تخطيطه الواسع.

وعلى هذا الأساس نجد أن من شرائط ظهور الإمام المهدي عليه السلام الأساسية هو ظهور عدد من الأصحاب والأنصار المخلصين للإسلام وللإمام عليه السلام القادرين على تحمل المسؤولية، وهذا لا يتحقق إلاّ من خلال مرور البشرية بالظروف القاسية والفتن الشديدة.

ومما ينبغي الإشارة إليه، هو أن التمحيص المقصود الذي من خلاله تتهيأ البشرية لليوم الموعود، هو تمحيص البشرية بشكل عام، وعلى طول امتدادها التاريخي، بالنحو الذي ينتج أفراداً مخلصين قادرين على تحمل المسؤولية في الدولة الكريمة.

أما روايات التمحيص والابتلاء في زمن الغيبة، وقبل قيام الإمام المهدي عليه السلام فهي كثيرة جداً، وقد وردت في كتب الفريقين:

منها: رواية ابن عباس المتقدمة، عندما قال جابر لرسول الله صلى الله عليه وآله: «يا رسول الله وللقائم من ولدك غيبة؟ قال: إي وربي،

ليمحص الله الذين آمنوا، ويمحق الكافرين»[١].

ومنها: ما جاء على لسان الإمام علي عليه السلام، عندما قال للإمام الحسين عليه السلام: «التاسع من ولدك يا حُسين هو القائم بالحق، والمظهر للدين، والباسط للعدل، قال الحسين عليه السلام: فقلت: وإن ذلك لكائن؟ فقال عليه السلام: أي والذي بعث محمداً بالنبوّة، واصطفاه على جميع البرية، ولكن بعد غيبة وحيرة لا يثبت على دينه إلاّ المخلصون المباشرون لروح اليقين الذين اخذ الله ميثاقهم بولايتنا، وكتب في قلوبهم الإيمان، وأيدهم بروح منه»[٢]، فالمخلصون بحسب هذه الرواية هم حاصل ذلك الابتلاء والتمحيص.

ومنها: ما جاء أيضاً عن الإمام علي عليه السلام، حيث قال للأصبغ بن نباته: «الحادي عشر من ولدي هو المهدي، يملأها عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، تكون له حيرة وغيبة، يضل فيها أقوام، ويهتدي فيها آخرون، فقلت: يا أمير المؤمنين وان هذا لكائن؟ فقال: نعم، كما أنه مخلوق، وأنى لك بالعلم بهذا الأمر يا

(١) ينابيع المودة، القندوزي: ج٣ ص٢٩٧ وص ٣٨٧، كشف الغمة: الأربلي: ج٣ ص٣٢٨.

(٢) كشف الغمة، الأربلي: ج٣ ص٣٢٨.

أصبغ، أولئك خيار هذه الأمّة، مع أبرار هذه العترة»[١].

ومنها: ما ورد عن الإمام محمد الباقر عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾[٢]، قال: «هذا مولود في آخر الزمان، هو المهدي من هذه العترة، تكون له حيرة وغيبة، يضل فيها أقوام، ويهتدي فيها أقوام»[٣].

ومنها: ما ورد عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أيضاً، قال: «والله لتميزنّ، والله لتمحصنّ، والله لتغربلنّ، كما يغربل الزؤان من القمح»[٤].

ومنها: ما ورد عنه أيضاً عليه السلام، قال: «هيهات هيهات، لا يكون الذي تمدون إليه أعناقكم حتى تمحصوا، هيهات ولا يكون الذي تمدون إليه أعناقكم، حتى تميزوا، ولا يكون الذي تمدون إليه أعناقكم حتى تغربلوا، ولا يكون الذي تمدون إليه أعناقكم إلاّ بعد إياس، ولا يكون الذي تمدون إليه أعناقكم حتى يشقى من

---

(١) الإمامة والتبصرة، ابن بابوية القمي: ص١٢١؛ الغيبة، النعماني: ص٦١؛ كفاية الأثر، الخزاز القمي: ص٢٢٠.

(٢) التكوير: ١٥- ١٦.

(٣) إكمال الدين وإتمام النعمة، الصدوق: ص٣٣٠، انظر: الغيبة، الطوسي: ص٣٣٦.

(٤) الغيبة، الطوسي: ص٣٤٠، الغيبة، النعماني: ص٢٠٥.

شقي، ويسعد من سعد»[١].

ومنها: ما ورد عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام: «والله لتُمحصنّ، والله لتطيرن يميناً وشمالاً، حتى لا يبقى منكم إلاّ كل امرئ أخذ الله ميثاقه، وكتب الإيمان في قلبه، وأيده بروح منه»[٢].

ومنها: ما ورد عن أبي عبد الله عليه السلام أيضاً قال: «لا بد للناس أن يمحَصوا ويميّزوا ويغربلوا، وسيخرج من الغربال خلق كثير»[٣].

ومنها: ما جاء عنه أيضاً عليه السلام: «لتُمحصنّ يا شيعة آل محمد، تمحيص الكحل في العين»[٤].

ومنها: كذلك ما ورد عنه عليه السلام قوله: «والله تكسرن تكسر الزجاج، وإن الزجاج ليعاد فيعود كما كان، والله لتكسرن تكسر الفخار وان الفخار ليتكسر فلا يعود كما كان، ووالله لتغربلن، والله لتميزن، والله لتمحصن حتى لا يبقى منكم إلا الأقل وصفّر

---

(١) الغيبة، النعماني: ص٢٠٩.

(٢) الغيبة، النعماني: ص٢٦.

(٣) الغيبة: النعماني: ص٢١٢؛ دلائل الإمامة: ابن جرير الطبري (الشيعي): ص٤٥٦؛ العدد القوية، العلامة الحلي: ص٧٤؛ الكافي، الكليني: ج١ ص٣٧٠.

(٤) الغيبة، النعماني: ص٢٠٦؛ الغيبة، الطوسي: ص٣٣٩.

كفه»[١].

ومنها: ما ورد عنه أيضاً عليه السلام، قال: «والله لتمحصنّ، والله لتميزن، والله لتغربلن، حتى لا يبقى منكم إلاّ الأندر»[٢].

ومنها: ما عن صفوان بن يحيى، قال: قال أبو الحسن الرضا عليه السلام: «والله لا يكون ما تمدون إليه أعينكم حتى تمحصوا، وحتى لا يبقى منكم إلاّ الأندر، فالأندر»[٣].

وأخيراً: يضرب الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام لنا مثلاً في ذلك، حيث يقول: «وسأضرب لكم مثلاً، وهو مثل رجل كان له طعام فنقّاه، وطيّبة ثم أدخله بيتاً، وتركه فيه ما شاء الله، ثم عاد إليه، فإذا هو قد أصابه السوس، فأخرجه ونقّاه وطيّبه ثم أعاده إلى البيت، فتركه ما شاء الله، ثم عاد إليه، فإذا هو قد أصابته طائفة من السوس، فأخرجه ونقّاه، وطيّبه، وأعاده، ولم يزل كذلك حتى بقيت منه رزمة كرزمة الأندر، لا يضره

(١) الغيبة، النعماني: ص٢٠٧؛ الغيبة، الطوسي: ص ٣٤٠.
(٢) تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي: ج١ ص١٩٩؛ وانظر: الغيبة، النعماني: ص٢٠٨؛ وانظر: الغيبة، الشيخ الطوسي: ص٣٣٧.
(٣) غيبة، النعماني: ص٢٠٨؛ الغيبة، الشيخ الطوسي: ص٣٣٧؛ الخرائج والجرائح: الراوندي: ج٣ ص١١٧٠؛ انظر: تفسير العياشي: ج١ ص١٩٩.

السوس شيئاً، وكذلك أنتم تُميزون، حتى لا يبقى منكم إلاّ عصابة لا تضرها الفتنة شيئاً»[١]، وبنفس المضمون ما جاء عن الإمام الباقر عليه السلام[٢].

وكذلك ما جاء أيضاً على لسان حكيمة عمّة الإمام عليه السلام، عندما قالت لمحمد بن عبد الله المطهري: «لا بد للأمّة من حيرة، يرتاب فيها المبطلون، ويخلص فيها المُحقّون، كيلا يكون للناس على الله حجة»[٣].

هذا مضافاً إلى روايات الفتن، والابتلاء في آخر الزمان التي نقلها الفريقان بنحو التواتر، والتي لا يخلو منها كتاب واحد من كتب الحديث، بل عُقدت لروايات الفتن في آخر الزمان كتب وأبواب خاصّة، وهذا يكشف عن أهمية التمحيص والغربلة في عصر الغيبة لمعرفة وتمييز المخلصين الصالحين للقيام بشؤون الدولة العالمية، تحت راية الإمام المهدي عليه السلام عن غيرهم، ومن تلك الروايات:

---

(١) الغيبة، النعماني: ص ٢١٠.
(٢) كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق: ص٤٢٦.
(٣) كمال الدين، الصدوق: ص٤٢٦.

١- قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن بين يدي الساعة فتناً كقطع الليل المظلم يصبح فيها الرجل مؤمناً ويُمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافرا...»[١].

٢- قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «... ثم فتنة الدهيماء، لا تدع أحداً من هذه الأمة إلاّ لطمته، حتى إذا قيل انقضت عادت، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً حتى يصير الناس فسطاطين، فسطاط إيمان لا نفاق فيه، وفسطاط نفاق لا إيمان فيه، فإذا كان ذاكم فانتظروا الدجال من يومه أو من غده»[٢].

٣ - قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ويل للعرب من شر قد اقترب، فتن كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، يبيع

---

(١) مسند أحمد، أحمد بن حنبل: ج٤ ص٢٧٧، البداية والنهاية، ابن كثير ج٨ ص٢٦٧؛ كنز العمال، المتقي الهندي: ج١٤ ص٢٢٩؛ النهاية في الفتن والملاحم: ابن كثير الدمشقي: ج١ ص٥٩؛ سنن أبي داود، السجستاني: كتاب الفتن، ص٧٠٨ ح٤٢٥٣؛ سنن الترمذي، الترمذي: كتاب الفتن؛ باب ما جاء في اتخاذ سيف من خشب في الفتنة:ص٢٣٠، ح٢٢٩٣؛ كما أخرجه ابن ماجه في كتاب الفتن، باب التثبيت في الفتنة:ص١٣١٠، ح٣٩٦١.

(٢) النهاية في الفتن والملاحم: ابن كثير الدمشقي: ج١ ص٦١؛ وكذا لاحظ: سنن أبي داود؛ كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي: ج٢ ص٢٢٩، ح٤٣٤٢؛ تهذيب الكمال، المزي: ج٢٢ ص٥٢٧؛ مسند أحمد، أحمد بن حنبل: ج٢ ص١٣٣ باختلاف في اللفظ؛ المستدرك، الحاكم النيسابوري: ج٤ ص٤٦٧.

قوم دينهم بعرض من الدنيا قليل؛ المتمسك يومئذ بدينه كالقابض على الجمر ـ أو قال ـ على الشوك»[١].

ثالثا: انكشاف عجز وبطلان الأطروحات الأخرى

لا ريب أن الغيبة تساهم في إثبات عجز أو فشل المدارس والأطروحات الأخرى التي تدعي تحقيق السعادة والعدل والكمال المنشود للمجتمع البشري، وهذا بدوره يكون دافعاً للمجتمع عموماً للتفاعل الإيجابي مع المهمّة الإصلاحية الكبرى للإمام المهدي عليه السلام.

ومن ثم يزيل العقبات التي تمنع عن حصول هذا التفاعل المطلوب، لتحقيق الأهداف الإلهية، التي يقوم بإنجازها الإمام عليه السلام.

إذن فالغيبة تفسح المجال لكي يتضح بطلان كل ما يرفع

---

(١) مسند أحمد، أحمد بن حنبل: ج٢: ص٣٩٠؛ النهاية في الفتن والملاحم: ابن كثير الدمشقي: ج١ ص٥٥ تاريخ دمشق، ابن عساكر: ج٧٠ ص٣٥؛ سير أعلام النبلاء، الذهبي: ج٢ ص٦٢٣، ج٨ ص٢٨؛ كنز العمال، المتقي الهندي: ج١١: ص١٥٨؛ انظر صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء: باب قصة يأجوج ومأجوج: ج٢ ص٣٤٧ ح٣٣٤٦؛ وانظر صحيح مسلم؛ كتاب الفتن، باب اقتراب الفتن وفتح ردم يأجوج ومأجوج: ص٢٢٠٧ ح ٢٢٨٠.

من شعارات مُزيّفة ومُغرضة، مهما كان مصدرها، سواء أكانت من المدارس المادّية أم من مدارس ذات أصول سماوية منحرفة، وبذلك يتبين فشل كل ما يرفع من الشعارات التي نراها براقة في يومنا هذا، كأطروحة العدالة العالمية، ومحاربة الإرهاب، ومنظمة حقوق الإنسان وغيرها، ومن ثم تسقط مصداقيتها لدى الناس، وينكشف زيفها وكذبها، وتتضح سياساتها العنصرية ونواياها السيئة، وكذا يتضح عجز العقل البشري عن تلبية ما تطمح إليه الفطرة البشرية من السعادة الكاملة، وإقامة العدل على هذه الأرض.

وهذا بدوره يشكل عاملاً مهمّاً في نجاح الأطروحة الإلهية على يد الإمام المهدي عليه السلام، بإقامة دولته العالمية، وتفاعل الناس معه.

ولعل روايات الفتنة والتمحيص المتقدمة تشير إلى ذلك، وتؤكد على عجز الإنتاج البشري عن تقديم ما تطمح إليه البشرية من العدل، ورفاهية العيش والأمن في هذه الدنيا.

رابعا: تجلي مفهوم الانتظار في أحضان الغيبة

إنّ إحساس الفرد المؤمن بوجود الإمام عليه السلام، واطّلاعه عن كثب على أوضاع المجتمع عموماً، يساهم في حصول الاطمئنان والثبات النفسي عند المؤمنين، وبذلك تزداد صلتهم بالإمام عليه السلام، ويتغلغل إيمانهم به وبعقيدته إلى داخل أعماقهم، ومن ثم تكون عقيدتهم بإمامهم عقيدة راسخة، وهو معنى الانتظار الذي يعد من الركائز الأساسية التي اهتم بها القرآن الكريم والرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، في عملية إعداد الفرد والمجتمع قال تعالى: ﴿فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾[1].

وقد أولى النبي صلى الله عليه وآله عناية خاصة بمفهوم الانتظار، وهذا ما نجده واضحاً من خلال كثافة الروايات الواردة في هذا السياق، فقد جاء عن النبي صلى الله عليه وآله قوله: « أفضل العبادة انتظار الفرج»[2].

---

(١) الأعراف: ٧١.

(٢) سنن الترمذي، الترمذي: ج٥ ص٢٢٦، مجمع الزوائد، الهيتمي: ج١٠ ص١٤٧، الجامع الصغير، السيوطي: ج١ ص١٩٢؛ المعجم الكبير للطبراني: ج١٠ ص١٠١، المعجم الأوسط للطبراني: ج٥ ص٢٣٠.

وقال صلى الله عليه وآله: «انتظار الفرج بالصبر عبادة»[١].

وعنه صلى الله عليه وآله قال:. «أحب الأعمال إلى الله انتظار الفرج»[٢].

وقال صلى الله عليه وآله «انتظار الفرج من الله عبادة»[٣].

وقال صلى الله عليه وآله «أفضل أعمال أمتي انتظار الفرج»[٤].

وقوله صلى الله عليه وآله «أفضل جهاد أمتي انتظار الفرج»[٥].

وقال صلى الله عليه وآله: «أفضل العبادة انتظار الفرج، أي انتظار الفرج بظهور المهدي»[٦].

فالانتظار يمثل عنصر التوازن في حياة المؤمن وحالة وسطى بين القنوط واليأس من روح الله، وبين حرمة الأمن من مكر الله، قال تعالى: ﴿وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن

(١) الجامع الصغير: الطبراني: ج١ ص٤١٧؛ لسان الميزان، ابن حجر: ج٤ ص٣٦٢، مسند ابن سلامة: ج١ ص٦٢.

(٢) دستور معالم الحكم، ابن سلامة: ص١٠٣.

(٣) الجامع الصغير، السيوطي: ج١ ص٤١٧.

(٤) الفرج بعد الشدة، القاضي التنوخي: ج١ ص٢٧؛ مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب: ج٣ ص٥٢٧.

(٥) تحف العقول، ابن شعبة: ص٣٧.

(٦) ينابيع المودة، القندوزي الحنفي: ج٣ ص٣٩٧؛ لسان الميزان، ابن حجر: ج٣ ص٩٣.

رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾[١].

ومن خلال الانتظار يتوجه الإنسان إلى ربه، ويتمسك بإمامه، ويطلب الفرج من الله تعالى، وهذا ما كشف النقاب عنه رسول الله صلى الله عليه وآله، بقوله: «أفضل العبادة انتظار الفرج»[٢].

كذلك نجد أن الانتظار في واحدة من أبعاده هو الإيمان بالغيب، ومن ثم يحمل الفرد على العمل والتعبد بعقيدته، ويكون محبّاً للعدل كارهاً للظلم، وبذلك يوجّه نفسه، وسائر إخوانه المؤمنين إلى ما فيه الخير والصلاح للمجتمع.

وكذلك نجد أيضاً أن الانتظار يحمل في طياته دفع المؤمن وحثّه على الامتثال والالتزام الكامل بتطبيق الأحكام الإلهية، ليكون فرداً صالحاً مؤهلاً للعضوية في مجتمع العدالة الكبرى، ومن ثم يكتسب المؤمن الإرادة القوية، والإخلاص الحقيقي الذي يؤهّله للمشاركة والتشرف بتحمل المسؤولية الكبيرة في اليوم الموعود، فيزداد تعلقه

---

(١) يوسف: ٨٧

(٢) سنن الترمذي، الترمذي: ج٥ ص٢٢٦، مجمع الزوائد، الهيتمي: ج١٠ ص١٤٧، الجامع الصغير، السيوطي: ج١ ص١٩٢؛ المعجم الأوسط، الطبراني: ج٥ ص٢٣٠.

بالأنبياء ورسالاتهم، وتجديد العهد معهم، ومع الإمام عليه السلام الذي يحقق هدف الأنبياء على هذه الأرض، وكل هذا إنما يتجلى وتشتعل جذوته إذا أحس الإنسان بوجود المصلح حياً يرزق قد حفظه الله تعالى وادخره لإنجاز مهمّة الإصلاح.

خامساً: عدم انقطاع سلسلة حجج الله في الأرض

إنّ الغيبة من الوسائل المهمة للحفاظ على وجود الحجّة الإلهية في الأرض، وعدم خلوّها من تلك الحجة، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**لا تخلو الأرض من قائم بحجة**»[1].

ولا يخفى الأثر المهم والدور الأساس لوجود حجة الله في الأرض، من كونها أماناً لأهل الأرض، كما قال صلى الله عليه وآله: «**النجوم أمان لأهل السماء، إذا ذهبت النجوم ذهب أهل السماء، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل**

---

(١) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ج ٥٠ ص ٢٥٥؛ ينابيع المودة، القندوزي: ج ١ ص ٨٩؛ المناقب، الخوارزمي: ص ٣٦٦، وانظر تاريخ اليعقوبي، اليعقوبي: ج ٢ ص ٢٠٦.

الأرض»[١].

وقال صلى الله عليه وآله: «لن يزال الدين قائماً إلى اثني عشر من قريش، فإذا هلكوا ماجت الأرض بأهلها»[٢].

وقال صلى الله عليه وآله: « إن مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح، من ركب فيها نجا، ومن تخلف عنها غرق، ومن قاتلنا في آخر الزمان فكأنما قاتل مع الدجال»[٣].

وقال صلى الله عليه وآله: «النجوم جعلت أماناً لأهل السماء، وإن أهل بيتي أمان لأمتي»[٤].

وقال صلى الله عليه وآله: «كيف تهلك أمّة أنا أوّلها، وعيسى بن مريم آخرها، والمهدي من أهل بيتي في وسطها»[٥].

---

(١) فضائل الصحابة، أحمد بن حنبل:ج٢ ص١٦٥؛ شواهد التنزيل، الحسكاني: ج١ ص٤٢٦؛ ينابيع المودة، القندوزي: ج١ ص٧١ وج٢ ص١١٤؛ ذخائر العقبى، محب الدين الطبري: ص١٧؛ ونحوه في المستدرك، الحاكم النيسابوري: ج٢ ص٤٤٨ ج٣ ص١٤٩ ص٤٥٧؛ جواهر المطالب: ابن الدمشقي الشافعي:ج١ ص٣٤٣.

(٢) المعجم الكبير، الطبراني ج:٢ ص١٩٦؛ كنز العمال، المتقي الهندي: ج١٢ ص٣٤.

(٣) المعجم الكبير، الطبراني: ج٣ ص٤٥، ح٢٦٣٦؛ مسند ابن سلامة: ج٢ ص٢٧٣.

(٤) المعجم الكبير: ج٧ ص٢٢.

(٥) الدر المنثور: ج٢ ص٧٤٢؛ الجامع الصغير السيوطي: ج٢ ص٤٢٣؛ تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ج٤٧ ص٥٢٢، ونحوها في المستدرك: الحاكم النيسابوري: ج٣ ص٤١؛ قال فيه (حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه)، فيض القدير: ج٥ ص٣٨٣.

مضافاً إلى أن غيبة الإمام عليه السلام تؤمّن إتيانه بالإسلام الخالص، كما أنزله الله تعالى حين الظهور؛ لأنه سوف يكون وارثاً عن أبيه عن آبائه عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله الإسلام الصحيح، وتفاصيله التي أملاها الرسول صلى الله عليه وآله على الإمام علي عليه السلام وكتبها بخطه.

بخلاف ما لو قلنا إنّ المهدي عليه السلام لم يولد بعد، فإنه حينئذ كيف يمكنه الإتيان بالإسلام الخالص بعد انقطاع الوحي، وكيف يحرز الإسلام الصحيح وسط هذه الاختلافات بين المذاهب، وبعد تضييع سنة رسول الله صلى الله عليه وآله.

أضف إلى ذلك أن وجود الحجة والإمام في الأرض لطفٌ من الله تعالى - كما تقدم- وإتمامٌ للحجة البالغة على خلقه، أمّا الغيبة فهي لأسباب وظروف اقتضت ذلك، وقد تقدم ذكر بعضها.

سادسا: لكي لا تكون في عنقه بيعة لظالم

وهذا من معطيات الغيبة أيضاً؛ لأن أئمة أهل البيت عليهم السلام كلّهم أُجبروا وأُكرهوا على البيعة للحكام الظالمين، ابتداءً

من الإمام علي عليه السلام إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

والبيعة من الإمام المعصوم تعني إعطاء عهد يطوق به عنقه ويكبله ويقضي بعدم محاربة الظالم في حال لزومها.

وهذا قضاء إلهي لآباء الإمام المهدي عجل الله فرجه بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام، كما قال هو عليه السلام: «... وأما علّة ما وقع من الغيبة، فإن الله عز وجل يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَسْأَلُواْ عَنْ أَشْيَاء إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾[1]، إنه لم يكن أحد من آبائي إلاّ وقعت في عنقه بيعة لطاغية زمانه، وإني أخرج حين أخرج ولا بيعة لأحد من الطواغيت في عنقي»[2].

فالإمام المهدي عليه السلام لكونه معدّاً سلفاً من قبل الله تعالى، ومرصوداً لإبادة الظلم والظالمين، فإذا كانت في عنقه بيعة، فكيف يقاتلهم؟

وإذا بادرهم بالقتال بدل الغيبة مع عدم توفر شرائط القيام والمواجهة مع الطواغيت، فسيؤدي ذلك إلى عدم

---

(١) المائدة: ١٠١.

(٢) الغيبة، الطوسي: ص٢٩٢؛ كشف الغمة، الأربلي: ج٣ ص٣٤٠.

الوصول لهدفه المرصود له، ولذا وردت الروايات من الفريقين تقرر هذا المعنى:

١ـ عن أمير المؤمنين عليه السلام: «إن القائم منا إذا قام لم يكن لأحد في عنقه بيعة، فلذلك تخفى ولادته ويغيب شخصه»[١].

٢- ما أخرجه الأربلي عن الإمام الحسن بن علي عليه السلام قال: «أما علمتم أنه ما منا أحد إلاّ ويقع في عنقه بيعة لطاغية زمانه، إلاّ الإمام القائم، الذي يصلي روح الله عيسى بن مريم عليه السلام خلفه، فان الله عز وجل يخفي ولادته، ويغيب شخصه؛ لئلا يكون في عنقه بيعة إذا خرج، ذلك التاسع من ولد أخي الحسين، ابن سيدة الإماء، يطيل الله عمره في غيبته، ثم يظهره بقدرته...»[٢].

٣ـ ما أخرجه أيضاً عن الإمام الحسين عليه السلام: «القائم منا، يخفى عن الناس ولادته، حتى يقولوا لم يولد بعد، ليخرج حين يخرج وليس لأحد في عنقه بيعة»[٣].

٤ـ عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام: «القائم منا تخفى

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق: ص٣٠٣.

(٢) كشف الغمة، الأربلي: ج٣ ص ٣٢٨-٣٢٩.

(٣) كشف الغمة: الأربلي: ج٣ ص ٣٢٩.

ولادته على الناس حتى يقولوا: لم يولد بعد، ليخرج حين يخرج وليس لأحد في عنقه بيعة»[١].

٥ـ عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام: «يقوم القائم وليس لأحد في عنقه بيعة»[٢].

٦ـ عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام قال: «كأني بالشيعة عند فقدهم الثالث من ولدي، كالنعم يطلبون المرعى فلا يجدونه، قلت له: ولِمَ ذاك يا بن رسول الله؟ قال عليه السلام: لأن إمامهم يغيب عنهم، فقلت ولِمَ؟ قال عليه السلام: لئلا يكون لأحد في عنقه بيعة إذا قام بالسيف»[٣].

مضافاً إلى أن وجود الإمام عليه السلام، مع غيبته له الأثر البالغ في إثارة الخوف والرعب في صفوف الظالمين، وهذا ما نلمسه ونشاهده بالوجدان في تصريحات كبار المسؤولين في دول العالم كأمريكا وغيرها من دول الغرب، من تخوفهم من ظهور رجل من حضارة بابل يقضي عليهم، لذا

---

(١) كشف الغمة، الأربلي: ج٣ ص ٣٢٣.

(٢) الإمامة والتبصرة، ابن بابويه القمي: ص١١٦؛ الكافي، الكليني: ج١ ص٣٤٢.

(٣) علل الشرائع، الصدوق: ج١ ص٢٤٥، عيون أخبار الرضا، الصدوق: ج٢ ص٢٤٧، بحار الأنوار: ج٥١ ص١٥٢.

نجد أنهم حشّدوا قواهم لمواجهته.

سابعا: الغيبة سر الهي

في البداية نقول: ما كل ما يعلم يقال، ولا كل ما يقال حان وقته، ولا كل ما حان وقته حضر أهله.

ومن هنا ينبغي علينا عدم إغفال الجانب الغيبي في الدين، إذ أن الكثير من الأمور لم يطلعنا الله تعالى على حكمتها والغاية منها، فليس كل ما يفعله الله تعالى نستطيع أن نعرف وجه الحكمة من ورائه، وإلاّ فما هي الحكمة في حياة نبيّين رفعهما الله تعالى إليه ؟ وما الحكمة من حياة نبيّين يسيران في الأرض؟ وما الحكمة من نزول عيسى عليه السلام مع المهدي عليه السلام؟ ولماذا لا يخبرنا القرآن بذلك ؟

فالغيبة سرّ على حدّ أسرار الغيب، التي لا يكشفها الله تعالى إلاّ لمن ارتضى من أوليائه، ويبقى الأمر الذي خفيت الحكمة من ورائه مثاراً للتعجب والاستغراب، فهذا موسى عليه السلام، وهو نبي من أنبياء الله تعالى، كان يظهر التعجب من عمل الخضر عليه السلام، فكيف بمن هو مثلنا، نحن القاصرون عن إدراك كنه الحقائق، ثم نأتي لنجادل فيها ؟!

هذا وقد تضافرت الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام في أن للغيبة حكمة لا يعلمها إلاّ الله تعالى، ومن ارتضى من أوليائه.

فقد جاء عن الإمام الصادق عليه السلام: «إن للقائم منّا غيبة يطول أمدها، فسأله سدير: ولِمَ ذاك يا بن رسول الله؟ قال عليه السلام: إن الله عزّ وجلّ أبى إلاّ أن يجري فيه سنن الأنبياء عليهم السلام في غيباتهم، وأنه لا بد له يا سدير من استيفاء عدد غيباتهم، قال تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾[1]»[2].

ثم إنّه مع الإيمان بضرورة الإمامة، والاعتقاد بأئمة أهل البيت عليهم السلام، بمقتضى الأدلّة الثابتة في محلّها، من الآيات والأحاديث، لا يبقى مجال للتساؤل، والتشكيك في وجود الإمام؛ لكونه غائباً.

فلعلّ في عدم الوقوف على العلّة الأساسية من الغيبة، سر من أسرار غيب الله تعالى، لم يطلعنا عليه، لا سيما مع إنباء وتصريح الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله بغيبة الإمام المهدي عليه السلام،

---

(١) الانشقاق: ١٩.

(٢) علل الشرائع، الصدوق: ج١ ص٢٤٥؛ كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق: ص٤٨٠-٤٨١.

كما مرّ ذكره في رواية جابر، ورواية ابن عباس وغيرها، وفي رواية أخرى لجابر: قال: قال رسول الله: «المهدي من ولدي، اسمه اسمي، وكنيته كنيتي، أشبه الناس بي خَلقاً وخُلقاً، تكون له غيبة وحيرة، تضل فيها الأمم، ثم يقبل كالشهاب الثاقب، فيملؤها عدلاً، كما ملئت جوراً»[١].

وذلك فضلاً عن الروايات المتواترة عن أوصياء رسول الله صلى الله عليه وآله، التي جاء فيها ذكر الغيبة، وقد تقدم ذكر بعضها سابقاً.

وكذا تقدم في بعض الروايات عدم اشتراط كون الحجّة والإمام ظاهراً، كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «اللّهم كلا! لا تخلوا الأرض من قائم بحق، إما ظاهر مشهور، وإما خائف[٢] مغمور، لئلا يبطل حجج الله عزّ وجلّ، وبيّناته»[٣].

وعنه عليه السلام قال اللهم بلى لا تخلو الأرض من قائم بحجة

(١) كشف الغمة، الأربلي: ج٣ ص٣٢٧؛ ينابيع المودة، القندوزي: ج٣ ص٣٨٦.
(٢) ولعل الصحيح كما في كثير من المصادر «خائف».
(٣) تاريخ اليعقوبي، اليعقوبي: ج٢، ص٢٠٦، تاريخ مدينة دمشق: ج ٥٠ ص٢٥٥، كنز العمال، المتقي الهندي: ج ١٠ ص٢٦٣، (أخرجها عن ابن الأنباري في المصاحف، والمرهبي في العلم، ونصر في الحجة)؛ المعيار والموازنة، أبو جعفر الإسكافي: ص٨١؛ مناقب أمير المؤمنين، محمد بن سليمان القاضي: ج٢ ص٢٧٥؛ دستور معالم الحكم، ابن سلامة: ص٨٤

إما ظاهر مستور وإما خائف مغمور لأن لا تبطل حجج الله وبيناته[١].

هذا وقد تتضح الحكمة حينما يأتي الوقت المناسب لها، ولذا نجد أن الخضر عليه السلام يقول لموسى عليه السلام لو صبرت لا تضحت الحكمة.

وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَسْأَلُواْ عَنْ أَشْيَاء إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللّهُ عَنْهَا وَاللّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[٢].

إذن بعد أن قامت لدينا الأدلّة القاطعة على ضرورة وجود حجة الله في الأرض، وآمنا بأنّه الإمام المهدي الحجّة ابن الحسن العسكري، وأنّه مولود وقد طوّل الله عمره الشريف بحكمته، فإن النتيجة الحتمية هي الإيمان بغيبته الطويلة، فإن الإمام إمام قام أو قعد، غاب أو ظهر،

(١) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ج ٥٠ ص ٢٥٥، وانظر كنز العمال، المتقي الهندي: ج ١٠ ص ٢٦٣، (أخرجها عن ابن الأنباري في المصاحف، والمرهبي في العلم، ونصر في الحجة)؛ مناقب أمير المؤمنين، محمد بن سليمان القاضي: ج ٢ ص ٢٧٥؛ وانظر دستور معالم الحكم، ابن سلامة: ص ٨٤؛ وانظر ينابيع المودة، القندوزي الحنفي: ج ٣ ص ٤٥٤.

(٢) المائدة: ١٠١.

وسواء اطّلعنا على سرّ من أسرار غيبته أم لم نطلع، ولا غرابة في ذلك بعد أن كانت حياة الأمّة وحركة البشرية حافلة بالأمور التي خفيت علينا أسبابها، وغابت عنا حكمتها.

دعوى المهدوية والسفارة

في خاتمة هذا البحث نود إلقاء الضوء على ظاهرة ادعاء المهدوية والسفارة عن الإمام المهدي عليه السلام كذباً وزوراً، مستغلين السذاجة والبساطة وغياب الوعي الديني الذي يعيشها بعض الناس، مستخدمين في ذلك شتى الوسائل الشيطانية من قبيل السحر والشعوذة وتسخير الجن ونحوها، مضافاً إلى ما يتلقاه هؤلاء المدعين للمهدوية والسفارة من دعم كبير من السياسات الاستعمارية، التي جهدت إلى بروز وانتشار هذه الدعوات.

مدعي المهدوية والسفارة في التاريخ الإسلامي:

ذكر الشيخ الطوسي في كتاب الغيبة عدد ممن ادعوا النيابة والسفارة الخاصة للإمام المهدي عليه السلام كذباً، منهم:

١ـ الرجل المعروف بالشريعي

حيث قال:«كان الشريعي يكنى بأبي محمد... وكان من أصحاب الإمام أبي الحسن علي بن محمد عليه السلام وهو أول من ادعى مقاماً لم يجعله الله فيه ولم يكن أهلاً له وكذب على الله وعلى حججه عليهم السلام ونسب إليهم ما لا يليق بهم وما هم منه براء، فلعنته الشيعة وتبرأت منه، وخرج توقيع الإمام عليه السلام بلعنه والبراءة منه... ثم ظهر منه القول بالكفر والإلحاد»[1] وقد كانت دعوته تقتصر على السذج من الناس الذين لم يتسلحوا بالوعي الديني.

٢ـ محمد بن نصير النميري

حيث قال الشيخ الطوسي: «كان محمد بن نصير النميري من أصحاب أبي محمد الحسن بن علي العسكري عليه السلام فلما توفي أبو محمد عليه السلام ادعى أنه صاحب إمام الزمان وادعى له البابية، وفضحه الله تعالى بما ظهر منه من الإلحاد والجهل... وكان يقول بالتناسخ ويغلو في أبي الحسن عليه السلام

(١) الغيبة، الطوسي: ص٣٩٧.

ويقول فيه بالربوبية ويقول بالإباحة للمحارم...»[١].

٣ـ أحمد بن هلال الكرخي

حيث كان من أصحاب أبي محمد عليه السلام فلما اجتمعت الشيعة على وكالة محمد بن عثمان (رض) بنص الإمام الحسن عليه السلام في حياته، وبعد وفاة الإمام الحسن العسكري عليه السلام قالت الشيعة له: ألا تقبل أمر أبي جعفر محمد بن عثمان وترجع إليه وقد نص عليه الإمام المفترض الطاعة؟ فقال لهم: لم أسمعه ينص عليه بالوكالة... فقالوا له قد سمعه غيرك، فقال: أنتم وما سمعتم، عند ذلك نفته الشيعة وتبرؤوا منه، ومن ثم لعنه وتبرأ منه الإمام صاحب الزمان عليه السلام في التوقيع على يد أبي القاسم بن روح بلعنه والبراءة منه في جملة من لعن»[٢].

٤ـ أبو طاهر محمد بن علي بن بلال

وله قصة معروفة حيث أنه تمسك بأموال الإمام عليه السلام التي كانت عنده وامتنع عن تسليمها، بذريعة أنه وكيل الإمام

---

(١) الغيبة، الشيخ الطوسي: ص٣٩٨. ح٣٦٩ وح٣٧١.
(٢) المصدر نفسه.

المهدي عليه السلام، ولذا تبرأت منه الشيعة ولعنوه»[١].

٥ـ الحسين بن منصور الحلاج: حيث فضحه الله تعالى وأخزاه، حيث ادعى الوكالة والنيابة الخاصة للإمام المهدي عليه السلام كذباً.

٦ـ محمد بن علي بن أبي العزاقر المعروف بالشلمغاني الذي كان من أعلام الشيعة وألف كتباً في التشيع ولكنه لمناقشة جرت بينه وبين الحسين بن روح النوبختي أعلى الله مقامه الشريف النائب الثالث للإمام المهدي عليه السلام خرج عن طوره، وراح يدعي دعاوى باطلة ويدعي أخباراً كاذبة عن الإمام عليه السلام إلا أن الإمام عليه السلام لعنه في أحد توقيعاته ومن ثم ظهر أمره وشاع كذبه.

وغير ذلك كثيرون، إذ يصعب بل من المستحيل إحصاء عدد الذين ادعوا المهدوية أو النيابة الخاصة في التاريخ الإسلامي، وذلك لأن منهم من اقتصرت دعوته على عدد ضئيل من المغفلين ولم تحصل لهم قوة وشوكة، فبقيت أمانيهم وأحلامهم مدفونة في صدورهم، ولذا أغفل

(١) المصدر السابق نفسه.

التاريخ ذكر أسمائهم ومدعياتهم.

الدليل على بطلان دعوى المهدوية والسفارة في عصر الغيبة الكبرى

هناك مداً استدلالياً واسعاً لإبطال دعوى المهدوية والسفارة للإمام المهدي في عصر الغيبة الكبرى، منها: قيام الإجماع على انقطاع النيابة الخاصة للإمام المهدي عليه السلام، بل ضرورة المذهب على ذلك :

انقطاع السفارة والنيابة الخاصة للإمام المهدي من ضروريات مذهب الإمامية.

إن مسألة انقطاع النيابة الخاصة والسفارة للإمام المهدي عليه السلام في عصر الغيبة الكبرى من ضروريات مذهب الشيعة الإمامية التي تعلو على البرهنة والاستدلال، ومن جملة ما ورد في ذلك التوقيع المبارك «بسم الله الرحمن الرحيم: يا علي بن محمد السمري أعظم الله أجر إخوانك فيك، فانك ميت ما بينك وبين ستة أيام، فاجمع أمرك ولا توص إلى أحد فيقوم أمامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة

التامّة فلا ظهور إلا بعد إذن الله تعالى ذكره؛ وذلك بعد طول الأمد، وقسوة القلوب، وامتلاء الأرض جوراً، وسيأتي شيعتي من يدعي المشاهدة إلا من ادعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كذّاب مفتر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»[١].

وقد روي الشيخ الطوسي: «إن كل من ادعى الأمر [أي أمر السفارة للإمام المهدي عليه السلام] بعد السمري [آخر السفراء الأربعة للإمام عليه السلام] رحمه الله فهو كافر منمس ضال مضل وبالله التوفيق»[٢].

وقد تواترت الروايات على انقطاع النيابة الخاصة عن الإمام إلى حين حصول الصيحة السماوية التي هي من العلامات المحتومة لظهور الإمام عليه السلام، فقبل ظهور الصيحة لا نيابة خاصة ولا سفارة وكل من ادعى ذلك فهو كاذب مفتر.

والمقصود من ادعاء المشاهدة هو السفارة أو النيابة

---

(١) الغيبة، الطوسي، ٣٩٥.

(٢) الغيبة، الطوسي، ص ٤١٢.

الخاصة في عصر الغيبة الكبرى.

الفهم الصحيح لعلامات الظهور

إن بعض علامات الظهور تمتاز بخصوصية معينة، وقد استغل أدعياء المهدوية والسفارة الخاصة هذه الخصوصية للحصول على مآربهم وأغراضهم.

عند إجراء مسح ميداني لعلامات الظهور نجد أن جملة منها تنطوي على لغة الرمز والإشارة التي تجعل إمكان تطبيق هذه العلامات على أكثر من مصداق وفي كل الأوقات، من قبيل ما أشار إليه الرسول صلى الله عليه وآله في أحاديث متظافرة أن المهدي لا يخرج إلا بعد انتشار الظلم والفساد.

ومن الواضح أن مثل هذه العلامة للظهور وهي انتشار الظلم والفساد نجدها تنطبق على كثير من الأزمنة إن لم نقل جميعها، وهذا ما نلمسه من الأسئلة الموجه لأهل البيت عليهم السلام وفي زمن حضورهم وقبل مولد الإمام المهدي عليه السلام حيث كان الناس يسألون الأئمة عليهم السلام بأن الظلم قد انتشر فأين المهدي الموعود، وغير ذلك من الاستفهامات.

وهذه الحالة وهي ملائمة بعض علامات الظهور لكل زمان استغلها المدعون للمهدوية في حملاتهم الدعائية للتأثير على الناس وإغرائهم بأن وقت الظهور بسبب انتشار الظلم والفساد في الأرض.

وعلى هذا الضوء يجب الالتفات إلى مثل هذه الأساليب التي يستغلها هؤلاء الدجالين لإضلال الناس وإغرائهم، لكي لا نكون فريسة سهلة لمثل هذه الدعوات الضالة والمنحرفة التي تستهدف العمل على تشويه حركة الإمام عليه السلام.

الخلاصة:

١- إنّ الله تعالى قد وعد في كتابه الكريم بإقامة العدل الإلهي في كل ربوع الأرض، كما في قوله تعالى ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾[1].

٢- إنّ تحقق هذا الهدف يكون على يد الإمام الثاني

(١) القصص: ٥.

عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام، بمقتضى كونهم يمثلون امتداداً للرسالة المحمدية وأنهم المعصومون المطهرون كما نص على ذلك القرآن الكريم في عدد من الآيات كآية التطهير والمودة والمباهلة فضلاً عن السنة النبوية كحديث الغدير والثقلين وحديث الاثني عشر.

٣- شاءت الحكمة الإلهية أن يكون تحقق هذا الهدف بشكل طبيعي وليس إعجازياً، وهو ما جرت عليه السنن الإلهية في هذا العالم، إلا في الظروف الاستثنائية التي تتوقف على الإعجاز، وعلى هذا الضوء فلابد من اكتمال جميع الشرائط لكي يتحقق الهدف والغرض الإلهي.

٤- إن من أهم العوامل المساهمة في تحقيق واكتمال شرائط إقامة العدل هو غيبة الإمام المهدي عجل الله فرجه، فجاءت الغيبة ضمن تخطيط إلهي محكم، لكي تتولد شرائط وأجواء مهمة النهوض بالعدل العالمي في دولة الإمام المهدي عجل الله فرجه، وقد أشارت لذلك نصوص نبوية وافرة.

٥- حيث إن استمرار ودوام الإمامة لطف إلهي، لحفظ الدين وعزته، وكذلك للحفاظ على الرسالة الإسلامية من

الانحراف والاندراس؛ لأنهم عدل القرآن الذين أذهب الله عنهم الرجس وطرهم تطهيراً، وهذا ما أكدته جملة من الروايات التي نصّت على ضرورة وجود الحجة في الأرض، لأنه لولا الحجة لساخت الأرض بأهلها إلى جانب تأكيد النبي صلى الله عليه وآله على ضرورة التمسك بأهل البيت عليهم السلام وأنهم هم الأمان لأهل الأرض، فعلى هذا الأساس تمثل الغيبة لطف إلهي، لحفظ وجود الإمام من خلالها، وإلا يكون الإمام عرضة للقتل، وبالتالي لا يتحقق الهدف والغاية الإلهية من وجوده المبارك عليه السلام.

٦- إنّ هوية وحقيقة الغيبة هي خفاء العنوان واستتار الهوية وليس خفاء شخص الإمام عليه السلام وإن كان ذلك قد يحصل أيضاً إذا اقتضت الضرورة؛ وذلك لأن الغيبة حالة استثنائية يقتصر فيها على القدر الذي ترفع به الضرورة، وهو خفاء العنوان لا غير، وقد سلّطت الروايات الضوء على هذه الحقيقة، مشيرة في بعضها إلى أن غيبة الإمام عليه السلام كانت سنة شبيهة بغيبة بعض الأنبياء، كما هو الحال في غيبة موسى وعيسى عليهما السلام.

٧- أما الفائدة من الإمام الغائب فقد وردت روايات متضافرة في بيان فائدة الإمام في غيبته، من قبيل روايات الانتفاع بولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وإن علاها السحاب[١]، ونحوها وأخيراً ذكرنا إن من جملة فوائد وجود الإمام عليه السلام غائباً هو ممارسة دوره بشكل خفي.

(١) ينابيع المودة، القندوزي الحنفي: ج١ ص٦٧ ج٣ ص٢٣٩ ص٣٩٩.

فهرست المصادر

١. **الاحتجاج**، أحمد بن علي الطبرسي، تحقيق محمد باقر الخرسان، نشر دار النعمان ـ النجف الأشرف، طبعة ١٣٨٦هـ.

٢. **الإمامة والتبصرة** علي بن الحسين الصدوق، تحقيق ونشر مدرسة الإمام المهدي.

٣. **البداية والنهاية**، ابن كثير، تحقيق علي شيري، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤. **تاريخ اليعقوبي**، أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي، نشر مؤسسة أهل البيت عليهم السلام – قم.

٥. تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، تحقيق مصطفى عبد القادر، نشر دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

٦. **تاريخ مدينة دمشق**، ابن عساكر، تحقيق علي شيري، نشر دار الفكر ١٤١٥هـ.

٧. **تحف العقول**، ابن شعبة الحراني، تحقيق علي أكبر غفاري، نشر جامعة مدرسين.

٨. **تذكرة الحفاظ**، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، نشر مكتبة الحرم المكي.

٩. **تفسير الرازي**، فخر الدين الرازي، نشر دار الفكر، بيروت ١٤١٥هـ.

١٠. **تفسير العياشي**، محمد بن مسعود العياشي، تحقيق هاشم الرسولي، نشر المكتبة العلمية الإسلامية – طهران.

١١. **تفسير القرآن العظيم**، ابن كثير، ، دار المعرفة – بيروت،

طبعة ١٤١٢هـ.
١٢. **تفسير المراغي**، أحمد مصطفى المراغي، نشر دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
١٣. **تهذيب الكمال**، يوسف المزي، تحقيق: بشار عواد معروف، نشر مؤسسة الرسالة، الطبعة الرابعة ١٤١٣هـ.
١٤. **جامع البيان**، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: صدقي جميل عطار، نشر دار الفكر - بيروت، طبعة ١٤١٥هـ.
١٥. **الجامع الصغير**، جلال الدين السيوطي، نشر دار الفكر - بيروت، ط ١ - ١٤٠١هـ.
١٦. **جواهر المطالب في مناقب الإمام علي**، احمد بن احمد الدمشقي الشافعي، تحقيق محمد باقر المحمودي، نشر مجمع إحياء الثقافة الإسلامية - قم.
١٧. **الخرائج والجرائح**، قطب الدين الراوندي، نشر مؤسسة الإمام المهدي/ قم.
١٨. **خصائص أمير المؤمنين**، أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق محمد هادي الأميني، نشر مكتبة نينوى الحديثة.
١٩. **الدر المنثور**، جلال الدين السيوطي، نشر دار الفكر - بيروت، طبعة ١٤١٤هـ.
٢٠. **دستور معالم الحكم**، الفاضل أبي عبد الله محمد بن سلامة، نشر مكتبة المفيد.
٢١. **دلائل الإمامة**، محمد ابن جرير الطبري (الشيعي)، تحقيق ونشر مؤسسة البعثة، ط ١ - ١٤١٣هـ.
٢٢. **ذخائر العقبى**، محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري، نشر مكتبة القدسي، طبعة ١٣٥٦هـ.

٢٣. سلسلة الأحاديث الصحيحة، ناصر الألباني، نشر مكتبة المعارف، طبعة ١٤١٥هـ.
٢٤. سنن ابي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق سعد محمد اللحام، نشر دار الفكر - بيروت.
٢٥. سنن البيهقي، أحمد بن حسين البيهقي، نشر دار الفكر - بيروت.
٢٦. سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، نشر دار الفكر - بيروت، ١٤٠٣هـ.
٢٧. سنن الدارمي، عبد الله بن بهرام الدارمي، نشر مطبعة الاعتدال - دمشق.
٢٨. السنن الكبرى، أحمد بن شعيب النسائي، عبد الغفار البنداري وسيد كسروي حسن، نشر دار الكتب العلمية - بيروت، ط١ - ١٤١١هـ.
٢٩. سير اعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق شعيب الأرنؤوط وحسين الأسد، نشر الرسالة - بيروت، طبعة ١٤١٣.
٣٠. شرح صحيح مسلم، النووي، نشر دار الكتاب العربي - بيروت، ط٢- ١٤٠٧هـ.
٣١. شواهد التنزيل، الحاكم الحسكاني، محمد باقر محمودي، نشر مجمع إحياء الثقافة الإسلامية - إيران، ط١- ١٤١١هـ.
٣٢. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق مكتبة المنصورة، نشر مكتبة المنصورة - مصر.
٣٣. الصواعق المحرقة، أحمد بن حجر الهيتمي، نشر دار الكتب العلمية - بيروت، طبعة ١٤٢٠هـ.
٣٤. العدد القوية، العلامة الحلي، تحقيق مهدي الرجائي، نشر مكتبة

آية الله المرعشي النجفي، ط ١، ١٤٠٨.
٣٥. **علل الشرائع**، محمد بن علي الصدوق، نشر مكتبة الحيدري - النجف الأشرف، طبعة ١٣٨٦هـ.
٣٦. **العلل ومعرفة الرجال**، أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق وصي الله محمود عباس، نشر دار الخاني – الرياض، ط ١ ـ ١٤٠٨هـ
٣٧. **عون المعبود شرح سنن ابي داود**، محمد شمس الحق العظيم الآبادي، نشر دار الكتب العلمية - بيروت، ط ٢ـ ١٤١٥هـ.
٣٨. **غيبة الطوسي**، محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق عبد الله الطهراني والشيخ أحمد علي ناصح، نشر المعارف الإسلامية – قم، ط ١ ـ ١٤١١.
٣٩. **غيبة النعماني**، محمد بن إبراهيم النعماني، تحقيق أكبر الغفاري، نشر مكتبة الصدوق - طهران.
٤٠. **فتح الباري في شرح صحيح البخاري**، شهاب الدين بن حجر العسقلاني، نشر دار المعرفة - بيروت، الطبعة الثانية.
٤١. **الفتن**، نعيم بن حماد المروزي، تحقيق سهيل زكار، نشر دال الفكر – بيروت، طبعة ١٤١٤هـ
٤٢. **الفرج بعد الشدة**، الحسين بن أبي القاسم التنوخي، نشر الشريف الرضي – قم، ط ٢ ـ ١٣٦٤هـ
٤٣. **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق أحمد عبد السلام، نشر دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١ـ ١٤١٥هـ.
٤٤. **الكافي**، محمد بن يعقوب الكليني، تحقيق علي أكبر غفاري، نشر دار الكتب الإسلامية ـ آخوندي، ط ٣ ـ ١٣٨٨هـ
٤٥. **كتاب الأربعين**، سليمان بن عبد الله الماحوزي، تحقيق مهدي

رجائي، ط١ـ ١٤١٧هـ.
٤٦. **كشف الغمة**، علي بن عيسى الأربلي، نشر دار الأضواء – بيروت، ط٢ ـ ١٤٠٥هـ
٤٧. **كفاية الأثر**، علي بن محمد الخزاز القمي، تحقيق محمد عبد اللطيف الحسيني، نشر بيدار- قم، طبعة ١٤٠١هـ
٤٨. **كمال الدين وتمام النعمة**، محمد بن علي الصدوق، تحقيق علي أكبر غفاري، نشر جامعة مدرسين- قم، طبعة ١٤٠٥هـ
٤٩. **كنز العمال**، المتقي الهندي، تحقيق: بكري حياني والشيخ صفوة السقا، نشر مؤسسة الرسالة.
٥٠. **لسان الميزان**، ابن حجر العسقلاني، نشر الاعلمي- بيروت، ط٢ ـ ١٣٩٠هـ
٥١. **مجمع الزوائد**، نور الدين الهيثمي، نشر دار الكتب العلمية- بيروت، طبعة ١٤٠٨هـ
٥٢. **مسائل عشر**، المفيد، تحقيق فارس حسون، نشر دار المفيد – بيروت.
٥٣. **المستدرك**، الحاكم النيسابوري، تحقيق يوسف المرعشلي، نشر دار المعرفة – بيروت، طبعة ١٤٠٦هـ
٥٤. **مسند الشهاب**، محمد بن سلامة القضاعي، تحقيق عبد المجيد السلفي، نشر مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١ ـ ١٤٠٥هـ
٥٥. **المصنف**، عبد الرزاق الصنعاني ، تحقيق أبي بكر عبد الرزاق، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، نشر المجلس العلمي.
٥٦. **المعجم الأوسط**، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: إبراهيم الحسيني، نشر دار الحرمين.
٥٧. **المعجم الصغير**، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: دار الكتب

العلمية.
٥٨. **المعجم الكبير**، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي عبد المجيد، نشر مكتبة ابن تمية القاهرة، الطبعة الثانية.
٥٩. **المعيار والموازنة**، أبي جعفر الإسكافي المعتزلي، تحقيق محمد باقر المحمودي.
٦٠. **من لا يحضره الفقيه**، محمد بن علي الصدوق، تحقيق علي أكبر غفاري، نشر جامعة مدرسين – قم، ط٢ ـ ١٤٠٤هـ.
٦١. **مناقب آل ابي طالب**، ابن شهر آشوب، تحقيق: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، مطبعة الحيدرية نجف، طبعة ١٣٧٦هـ
٦٢. **مناقب امير المؤمنين**، محمد بن سليمان القاضي الكوفي، تحقيق: محمد باقر المحمودي، نشر مجمع إحياء الثقافة الإسلامية ـ قم، ط ١ ـ ١٤١٢هـ
٦٣. **المناقب**، الموفق الخوارزمي، تحقيق: مالك المحمودي، نشر جامعة مدرسين – قم، طبعة ١٤١١هـ
٦٤. **النزاع والتخاصم**، أحمد بن علي المقريزي، تحقيق: علي عاشور.
٦٥. **نزهة الناظر وتنبيه الخاطر**، الحسين بن محمد الحلواني، تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي، ط ١ـ ١٤٠٨هـ
٦٦. **ينابيع المودة**، سليمان بن إبراهيم القندوزي، تحقيق: علي جمال أشرف الحسيني، نشر دار الأسوه، ط ١ـ ١٤١٦.

فهرست الكتاب

كلمة المؤسسة ٥
المقدمة ٧
غيبة الإمام المهدي عجل الله فرجه (رؤية تحليلية) ١١
تمهيد ١١
هوية الغيبة ٢١
دوام الإمامة واستمرارها لطف إلهي ٢١
لولا الحجة لساخت الأرض بإهلها ٢٣
الغيبة لطف إلهي ٢٧
حقيقة الغيبة: خفاء الهوية والعنوان ٢٩
ما الفائدة من الإمام الغائب ؟ ٣٢
إدارة الإمام عجل الله فرجه في الغيبة ٣٣
وجه التشابه بين الامام المهدي عجل الله فرجه والخضر عليه السلام ٣٧
دور الإمام عجل الله فرجه في درء الفساد ٤٩
خلفيات وفوائد أخرى للغيبة ٥٥
أولاً:الحفاظ على حياة الامام ٥٥
ثانياً: التمحيص ٦١
ثالثاً: انكشاف عجز وبطلان الاطروحات الاخرى ٧١
رابعاً: تجلي مفهوم الانتظار في أحضان الغيبة ٧٣

خامساً: عدم انقطاع سلسلة حجج الله في الأرض ٧٦
سادساً: لكي لا تكون في عنقه بيعة لظالم..... ٧٨
سابعاً: الغيبة سرّ الهي ٨٢
دعوى المهدوية والسفارة..... ٨٦
مدعي والمهدوية والسفارة في التاريخ الإسلامي..... ٨٦
١- الرجل المعروف بالشريعي ٨٧
٢- محمد بن نصير النميري..... ٨٧
٣- أحمد بن هلال الكرخي..... ٨٨
٤- أبو طاهر محمد بن علي بن بلال..... ٨٨
٥-الحسن بن منصور الحلاج ٨٩
٦- محمد بن علي الشلمغاني ٨٩
الدليل على بطلان دعوى المهدوية والسفارة في عصر الغيبة الكبرى ... ٩٠
انقطاع السفارة والنيابة الخاصة في عصر الغيبة الكبرى..... ٩٠
الفهم الصحيح لعلامات الظهور ٩٢
الخلاصة..... ٩٣
فهرست المصادر ٩٧
محتويات الكتاب..... ١٠٣